

دار
الشروق

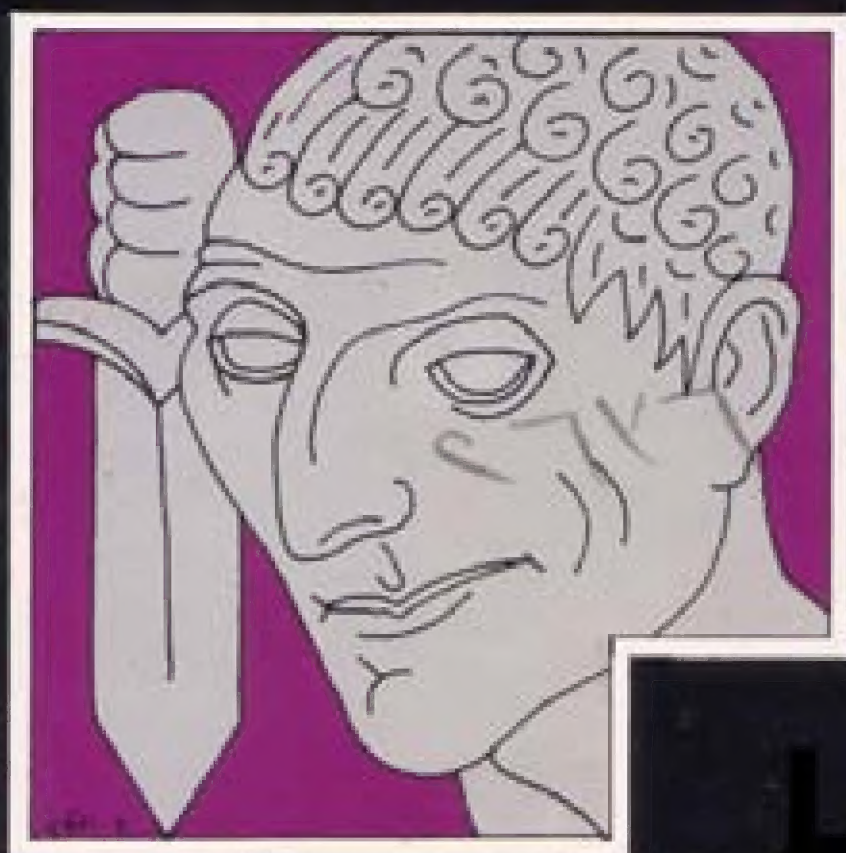


المكتبة
الكلاسيكية

ويليام شكسبير

يوليوس قيصر

ترجمة : حسين أحمد أمين



دار الشروق

مقدمة

(١)

نُشرت مسرحية « يوليوس قيصر » لشكسبير لأول مرة عام ١٦٢٣ (أى بعد وفاته بنحو سبعة أعوام) ، ضمن الطبعة الأولى مما يُسمّى بالفوليو Folio ^(١) . أما عن تاريخ تمثيلها للمرة الأولى فالأرجح أنه سبق تاريخ النشر بربع قرن ، وأنه كان خلال خريف عام ١٥٩٩ . وكان عرضُها في مسرح « جلوب » Globe بلندن ، وهو المسرح الذى شُرع في بنائه في يناير أو فبراير عام ١٥٩٩ ، وكان الفراغ منه في أواخر صيف العام نفسه . والراجح أن يكون شكسبير قد كتب مسرحيته في النصف الأول من ذلك العام ، (قبل شروعه في كتابة « هاملت ») ، وكان وقتها في الخامسة والثلاثين من العمر .

كان شكسبير قد فرغ لتوّه من كتابة مسرحياته الخاصة بالتاريخ الإنجليزي ^(٢) : هنرى السادس بأقسامها الثلاثة ، (١٥٩٠ - ١٥٩١) - ريتشارد

(١) الفوليو : الكتاب ذو القَطْع الكبير . وهو كتاب يتألف من صفحات كبيرة ، يزيد طول كل منها على ٣٠ سم . وقد صُممت طبعة الفوليو عام ١٦٢٣ - لأول مرة - كافة مسرحيات شكسبير (عدا مسرحية « بركليس ») . ويستخدم هذا المصطلح (folio) للتمييز بين تلك الطبعة والطبعات التى ظهرت أثناء حياة شكسبير لعدد من مسرحياته فُرِادى ، وكانت كلها من قَطْع الربع Quarto . وقد حوت طبعة الفوليو الأولى ثمانى عشرة مسرحية لشكسبير لم تنشر من قبل ، من بينها « يوليوس قيصر »

(٢) عدا مسرحيته « هنرى الثامن » التى كانت آخر مسرحية يكتبها شكسبير (١٦١٣) ، مستعينا فيها بغيره ، أو استعان الغير به لكتابة بعض مشاهدنا .

الثالث ، (١٥٩٢) - ريتشارد الثاني ، (١٥٩٥) - الملك جون ، (١٥٩٦) هنرى الرابع بقسميها (١٥٩٧ - ١٥٩٨) - هنرى الخامس ، (١٥٩٩) . وقد اختار هذه المرة أن يكتب عن يوليوس قيصر الذى شغف الناس فى العصر الإليزابيثى بدراسة سيرته ، وكانوا يرونه أول روماني يدرك ضرورات ومزايا النظام الملكى . ويسهم إلى حد كبير فى تحويل الدولة الرومانية إليه .

وقد اعتمد شكسبير بصفة رئيسية فى كتابته للمسرحية على ترجمة سير توماس نورث الإنجليزية لكتاب «السَّير» لبلوتارك ، وإن كان قد أفاد من كتب أخرى فى الموضوع . وقد لقيت ترجمة نورث (وهى عن الفرنسية لا عن الأصل اليونانى) نجاحا عظيما تشهد به الطبقات الإنجليزية السبع للكتاب فى الفترة ما بين عام ١٥٧٩ (تاريخ الطبعة الأولى) وبين نهاية القرن السابع عشر . فأما مادّة المسرحية فمستقاة من ثلاث سير فى كتاب بلوتارك ، هى تلك الخاصة بماركوس بروتس . ويوليوس قيصر ، وماركوس أنطونيوس . والواقع أن شكسبير أورد فى مسرحيته العديد من الفقرات المقتبسة من ترجمة نورث بعد تغيير طفيف يقتضيه الشعر المنثور . وإنما تتجلى عبقرية شكسبير الدرامية فى انتقائه للمادة المتوفرة فى المصدر ، وفيما أضافه إليها أو حذفه أو غير منها ، وفى تناول تخيلته للموضوع . ومن أبرز الأمثلة على ما نقول خطبتا بروتس وأنطونيوس بعد مصرع قيصر ، والتصوير الواقعى للغوغاء وتقلّب مشاعرها وتذبذب مواقفها ، وهو ما لانجد له مقابلا عند بلوتارك .

صحيح أن بلوتارك يزودنا بصورة حية لكل من قيصر وبروتس وأنطونيوس . ولكاسيوس إلى حد أقل ، إلا أن شكسبير تناول التفاصيل الواردة فى كتاب بلوتارك بطريقة الخاصة ، وأعاد بطريقة الخاصة رسم ملامح تلك الشخصيات . وعلى سبيل المثال : نجده يبرز بعض عيوب قيصر دون أن يخفى بذلك جوانب عظمته ، ويبرز حقد كاسيوس وافتقاره إلى الثبات ثم يتحين الفرص لإثارة تعاطفنا معه ، ويوضح انتهازية أنطونيوس مع الإشادة بحبه الصادق لقيصر ، ويؤكد على نبل شخصية بروتس ومثاليته مع إظهار العيوب الخطيرة فيه .

وكما هى عادة شكسبير فى تناوله للأحداث التاريخية فى مسرحياته ، فإنه لم يلتزم التزاما صارما بالحقائق التاريخية حين يتخلّ مثل هذا الالتزام بالضرورات الفنية ، أو بتصوير الشخصيات على النحو الذى ارتآه ، أو بالحبكة الدرامية وما تقتضيه المسرحية من ضغط للوقت والأحداث . مثال ذلك : يذكر بلوتارك أن بروتس ورفاقه توجهوا عقب قتلهم لقيصر مباشرة إلى ساحة الكابيتول حيث ألقى بروتس خطبته . أما خطبة أنطونيوس فكانت فى اليوم التالى . وأما عودة أوكتافيوس إلى روما فكانت بعد نحو ستة أسابيع من اغتيال قيصر . وسرعان ما دبّ الشجار بين أنطونيوس وأوكتافيوس حول تدبير الأمور فى روما ، ومضى عام ونصف عام من الخلافات بينهما ، بل والقتال ، قبل أن يسويا هذه الخلافات ويشكّلا مع ليبيدوس حكومتهم الثلاثية . . . كل هذا ضغطه شكسبير فى نحو أربع وعشرين ساعة !

(٢)

وقد أتقن شكسبير بناء مسرحيته هذه أعظم إتقان ، خاصة بفضل موازنته الدرامية بين الأطراف المتصارعة فيها . أما عن اعتراض البعض القائل بأن المسرحية مكوّنة من قسمين ، بالنظر إلى مصرع يوليوس قيصر (الذى سميت المسرحية باسمه) خلال المشهد الأول من الفصل الثالث ، فُردّ عليه بأن مصرع قيصر هو النقطة المحورية لا النقطة الفاصلة فى المسرحية . ذلك أن الاهتمام يتركز قبل اغتياله على التآمر لقتله ، ويتركز بعده على خطوات الأخذ بثأره . فقيصر حيّا ليس بأكثر قوة أو تأثيرا منه ميتا ، بل وتهيمن روحه على النصف الثانى من المسرحية أكثر مما هيمنت على النصف الأول . وها نحن فى ختامها نرى كُلاً من بروتس وكاسيوس يُنهى حياته بالانتحار ، فيكون اسم قيصر آخر ما يتلفّظ به .

فإن كان مصرع قيصر هو النقطة المحورية ، فإن نقطة التحول فى سلسلة الأحداث نجدها بعد دقائق من الاغتيال ، لحظة دخول خادم أنطونيوس على المتأمرين وهم يتأهبون للخروج إلى الساحة العامة . فعبارة « يدخل خادم » يتحول مجرى المسرحية بأسره ، ويبدأ ردّ الفعل الذى يدوم بعد ذلك حتى النهاية . ويمكن تشبيه

حديث الخادم إلى المتأمرين بالنغمات الأولى من اللحن الرئيسي الختامي في المعزوفة الموسيقية . كذلك فإن هذا الحديث - وهو الذى نقل فيه رسالة أنطونيو إلى بروتس ورفاقه - يكشف لأول مرة عن جانب من شخصية أنطونيو يُطوره شكسبير في النصف الثانى من المسرحية . فنحن حتى تلك اللحظة لم نره يلعب دورا ذا شأن ، ولا هو تقوى خلال الفصلين الأولين بأكثر من بضع كلمات ، مما قد يعزز من وصف بروتس له بأنه « مجرد عضو من أعضاء جسد قيصر » . أما بعد سماعنا لرسالته التى نقلها الخادم ، فإننا نبدأ فى التحول إلى رأى كاسيوس فيه ، وهو أنه « خصم ماهر واسع الخيلة » ، وهو ما يبرهنه خلال باقى المسرحية ، خاصة منذ إلقاءه لخطبته البديعة فى الجماهير .

ويقودنا هذا إلى الحديث عن شخصيات المسرحية ، وأهمها أربعة :

يوليوس قيصر ، وبروتس ، وكاسيوس ، وأنطونيو . وقد راعى شكسبير أن يوضح فى كل منهم الشرائط الجذرية بالإعجاب والتعاطف معه ، مع إبرازه فى نفس الوقت للعيوب اللصيقة بشخصيته . . .

يوليوس قيصر . .

دور قيصر فى المسرحية قصير بالمقارنة بأدوار بروتس وكاسيوس وأنطونيو ، ولا يمكن بالتالى أن يكشف من خلال أقواله أو أفعاله عن كافة نواحي شخصيته . غير أن الكثير من هذه النواحي نكتشفه فى ثنايا حديث الآخرين عنه ، محبين ومبغضين . وهى آراء متضاربة يمكننا الجمع والتوفيق بينها من الخروج بالانطباع الذى أراد شكسبير أن يُحدثه عن قيصر ، شريطة أن نأخذ فى اعتبارنا دوافع الحسد والحقد ، أو الصداقة والامتنان ، وراء تلك الآراء .

وقد ذهب الكثيرون من النقاد إلى أن الصورة النهائية لقيصر فى المسرحية صورة لا تدعو إلى الإعجاب به . فهو فيها رجل مغرور جعجاع ، رهيب الاعتداد بذاته ، عظيم الطموح ، شديد الرغبة فى أن يُتوج ملكا ، ضعيف المبالاة بمشاعر الغير . . . إسمعه يقول . .

« لو كنتُ مثلكم لأمكن إقناعى . ولو كان بوسعى التوسل إلى أحد لا ستجبت لتوسلات الغير . غير أنى ثابت لا أترجّح ، شأن النجم القطبى الذى لا يُدانيه فى ثباته كوكب آخر . . إن السماء مرصعة بمصابيح لا حصر لها ، كلها من نار ، وكلها مضيء . غير أن واحدا من بينها فحسب هو الثابت فى موضعه . وكذا فى عالمنا هذا : هو ملء بالرجال ، والرجال من دم ولحم ، كلهم ناطق يفهم . غير أنى لا أعرف سوى واحد من بينهم فحسب لا ترجّحه عن مكانته الرفيعة دفعة أو هجوم . وأنا ذلك الرجل ! » (الفصل الثالث : المشهد الأول)

فهؤلاء النقاد يرون أن شكسبير قصد إلى رسم صورة بغیضة لقيصر ، فى حين يرى آخرون أن صورة قيصر فى هذه المسرحية هى أفضل من صورته فى « سير » بلوتارك . ولو كان شكسبير يقصد حقا أن يسىء إليه ، لاستخدم الكثير مما أورده بلوتارك من صفات وأحداث تُشينه .

ومما يعزز من هذا الرأى الثانى ثلاثة أمور . .

الأول : أن طموح قيصر وغروره إن كانا نقطتى ضعف فيه ، فهما نقطتان كثيرا ما يخالطان صفة العظمة . ومع ذلك فلم يكن طموح قيصر بذلك الطموح الشرير الذى لا يعرف حدّا مما نجده عند مكبث . أضف إلى ذلك أن ذكر عيوبه يُضفى على رسم صورته واقعية تُقرّبه منا ، وتجعله بشرا مثلنا ومثل غيره من شخصيات المسرحية .

والثانى : أن معظم أحاديث الغير التى تسمى إلى صورة قيصر ترد إما على السنة أتباع عدوّه بومبى ، من أمثال فلافيوس ومارولوس فى المشهد الأول من المسرحية ، أو على السنة الحاسدين لقيصر والحاquدين عليه ، من أمثال كاسيوس وكاسكا . وبالتالى وجب الاحتياط قبل تصديقها .

والثالث : أن وصف قيصر لنفسه الذى يوحى إلى المشاهد أو القارىء بأنه عظيم الغرور ، هو من قبيل الأساليب المسرحية المقبولة فى العصر الإليزابيثى لبيان معالم الشخصية . فالقارىء أو المشاهد فى عصرنا هذا قد ينفر من حديث قيصر السابق

الإشارة إليه ، ويرى فيه دلالة أكيدة على شدة اعتداده بذاته . أما جمهور المسرح في زمن شكسبير فقد اعتاد هذا الأسلوب المباشر لوصف الشخصية لنفسها ، وكان يراه أقصر الطرق إلى بيان معالمها . حتى إذا ما قال قيصر عن نفسه إنه لا يخاف أحدا أو شيئا ، فهم الجمهور أن المؤلف إنما يريد وصفه بالشجاعة ، لا اتهامه بالغرور .

ومع ميلى الشخصى إلى اعتبار صورة قيصر فى المسرحية أبعث على النفور منها على الإعجاب ، أذهب إلى القول بأن المقتضيات الدرامية هى التى حذت بشكسبير إلى تقليص تعاطفنا مع قيصر والحد من إعجابنا به ، حتى لا نرى فى اغتياله مجرد عمل وحشى لا مبرر له ، وحتى يتوازن تعاطفنا مع قيصر وأصدقائه مع تعاطفنا مع بروتس وزمرته ، وحتى يحتفظ العمل الدرامى بعنصر الصراع الذى يستلزم بيان فضائل قيصر وعيوبه ، وبيان فضائل المتآمرين عليه وعيوبهم .

ماركوس بروتس . .

بروتس هو بطل المسرحية بكل تأكيد ، حتى وإن سُميت باسم « يوليوس قيصر » . فدوره هو أطول الأدوار فيها ، واهتمامنا طواها مركز على تأملاته ومشاورته لنفسه وقراراته وعلاقاته بالآخرين . . والواضح أن شكسبير كان شديد العناية بدراسة شخصية بروتس ، غير راض تماما عن تفسير بلوتارك لاغتياله قيصر بطموحه إلى أن يخلفه ، وبجزازات شخصية ، رغم تأكيد بلوتارك لنزاهته ونبل أخلاقه وحكمته . فكان أن غيّر شكسبير من ملامح الصورة التى أوردها كتاب « السير » . بأن أكد نقاء سريرته وبراءة بواعثه ونبل شخصيته ، مع إبراز افتقاره إلى الحكمة ووقوعه المتكرر فى أخطاء جسيمة .

وقد اختلف النقاد أيضا فيما بينهم بصدد شخصية بروتس كما صورها شكسبير . فغالبية القدامى منهم رأته فى إنسانا راعيا من كافة الوجوه ؛ هو المثل الأعلى للنبل والنزاهة والتجرد عن الأهواء الشخصية . غير أنهم ينسبون أن شكسبير نسب إليه من العيوب ما لا نجد له مقابلا فى بلوتارك . فهو فى المسرحية شديد الاعتداد بأمانته ، وفى بعض الأحوال مغرور كقيصر . وهو ينقاد كالضعيف لتحريض كاسيوس ، وينخدع كالساذج لحيل أنطونيوس ، ويتخذ وقت الأزمات من القرارات ما يتضح خطأه وخطئه فيما بعد ، ضاربا عرض الحائط بنصح من هو أكثر حكمة وأوسع خبرة

منه ، فيُسهم بذلك فى هزيمة قضيته وقضيتهم . . قد عميت بصيرته عن الواقع بسبب سذاجته الغريبة ، ومثاليته المفرطة . . فهو الذى رفض اقتراح كاسيوس بقتل أنطونيوس مع قيصر تحبّا لخطره ، ثم اقتراحه بالأيامح لأنطونيوس بالتحدث إلى الجماهير ، ثم اقتراحه بإبقاء الجيش فى سارديس حتى يُنهك العدو باضطرابه إلى البحث عنه ، والسير إليه . . إلى آخره . غير أن الأخطر من كل هذا أنه لم يخطر بباله أنه إنما يضّر الدولة بقتله قيصر دون أن يعدّ العدة سلفا لإرساء دعائم نظام جديد يحل محله ، ودون أن يتخذ الإجراءات الكفيلة بصيانة الأمن والنظام فى الدولة بعد التخلص من رئيسها . فها نحن نراه وسائر المتآمرين بعد قتلهم لقيصر حيارى لا يدرون ما يصنعون ، ولا يفكرون إلا فى غسل أيديهم بدم القتل والخروج إلى الشوارع بسيوفهم الملوّخة بالدم ، يهتفون « السلام ! الحرية ! » . . فهل من المستغرب إزاء ذلك أن نرى أنطونيوس ، لابروتس ، هو الذى تمكن من الهيمنة على المدينة فى خلال أربع وعشرين ساعة من مصرع قيصر ، وأن يهرب بروتس وكاسيوس من روما خوفا على حياتهما ؟

إن الصورة التى رسمها شكسبير له هى صورة رجل منقسم على نفسه ، وفى حالة صراع داخلى دائم . فإن تذكرنا أن مسرحية « يوليوس قيصر » كانت السابقة مباشرة لمسرحية « هاملت » ، فقد نرى فى شخصية بروتس أول معالجة من جانب شكسبير للإنسان الممزق موزع النفس . . فهو يحب قيصر ويعجب بمواهبه الفذة ، غير أن ولاءه للجمهورية وخوفه من عواقب طموح قيصر أكبر من ولاءه للصديق . وهو رجل نزيه نبيل ربط نفسه بعصبة من الناس لا تحذوهم غير الاعتبار والخزازات الشخصية ، فهو لا يرى عيوبهم ، ولا فى مقدوره حتى أن يفهم هذه العيوب . فأما عن دوافعه وأسبابه فلسيما لا غبار عليها ، غير أنه دائما يصل عن طريقها إلى نتائج خاطئة . . واختصارا ، فهو مثال حى لإنسان قويم الخلق ليس بوسعه أن يمد ناظره إلى أبعد من القانون الأخلاقى الصارم الذى يلزم نفسه به .

لقد بالغ غالبية النقاد فى الإشادة ببروتس رغم عناية شكسبير بإظهار أوجه القصور فى شخصيته . . ولعل أهم ما مال بهم إلى ذلك تلك الملامح واللمسات الجميلة التى أضفاها شكسبير نفسه على علاقاته الشخصية ، بإبرازه حبه لزوجته ،

وحب زوجته له ، وعطفه على خادمه لوسيوس ، وقوة ولاء أصدقائه له ، واحترام الكافة - حتى أعدائه - لشخصيته . ولنلاحظ أنه في ساعة الهزيمة في ختام المسرحية كان حزن أتباعه عليه لا على أنفسهم . وهى حجة عبّر عنها بروتس بقوله :

« إن قلبى لتغمره السعادة إذ أرى أننى ما صادفت فى حياتى امرأة إلا كان وفيًا لى . »

كايوس كاسيوس :

دور كايوس كاسيوس هو ثانى أطول الأدوار فى المسرحية (بعد بروتس) . وقد استند رسم شكسبير لصورته فى المقام الأول إلى الجملة التالية فى بلوتارك :

« غير أن كاسيوس ، وهو الرجل السريع الغضب الذى كان يَكُنّ من العداء لقيصر أكثر مما يظهره من العداء للطغيان ، شرع فى تحريض بروتس عليه . »

فهو فى المسرحية رجل حقود بائس ، شديد المرارة ، شديد الإحساس بالنقص إزاء من يفوقه فى المواهب ، أو يعلوه فى المراتب . وقد كان قيصر محقا فى اعتباره رجلا خطرا ، عظيم الفراسة فى وصفه إياه :

« حبذا لو كان أسمن بدنا ! غير أنى لا أخشاه . ومع ذلك فلو كان بالإمكان أن أستشعر الخوف لما كان ثمة من هو من واجبى أن أتجنبه للتو غير هذا النحيل كاسيوس . . إنه كثير القراءة ، يلاحظ كل شىء يدور ، عظيم الفراسة فى إدراكه للبواعث وراء تصرفات الناس . . إنه لا يحب المسرحيات كما تحبها أنت يا أنطونيو . ولا يستمع إلى الموسيقى . نادرا ما يتسم . فإن ابتسم فكأنما يسخر من نفسه ، محقرا إياها إذ يدفعها أمر من الأمور إلى الابتسام . أمثاله لا يمكن أن يستشعروا الراحة وهم يرون رجلا أعظم منهم . ولذا فهم خطرون جدا » . (الفصل الأول ، المشهد الثانى) .

غير أن شكسبير مولع دائما بالموازنة بين العيوب والفضائل ، لا يرى فى الناس خيرا محضا ولا شرا محضا . فما أن يحقق كاسيوس غرضه ويروى غليله باغتيال قيصر حتى تتحرر الجوانب الطيبة فيه من ربة الحقد والغيرة ، فيضحى فى النصف الثانى من المسرحية إنسانا بوسعنا أن نحترمه ، بل وأن نحبه . . فهو كلما احتاج الموقف إلى اتخاذ

قرار حاسم ، يظهر من الحكمة ونفاذ البصيرة أكثر مما يظهره الآخرون ، خاصة بروتس ، بحيث يمكن القول بأنه لو كان بروتس أخذ بنصائحه ومشوراته لزادت فرص نجاح قضية المتآمرين ضد يوليوس قيصر .

وهو قائد شجاع فى الحرب ، عظيم الحنكة فى القيادة ، واسع الخبرة بالناس ، قادر على إثارة ولاء أعوانه له ، قوى التعاطف مع أصدقائه فى محنتهم ، وأكرم نفسا من أن يلقى تبعة الهزيمة على حماقة من لم يأخذ برأيه . . كل هذا يتضح لنا فى الفصلين الأخيرين ، فيمحو أو يعدل من الانطباعات التى أحدثتها عنه الفصول الثلاثة الأولى ، حتى لنكاد ننحاز إلى صفه فى شجاره مع بروتس ، ونرى بروتس ظالما له . (الفصل الرابع ، المشهد الثالث) ، وحتى لنقبل عن طيب خاطر نعى بروتس له بعد انتحاره إذ يقول . .

« وداعا آخر الرومان ! إنه لمن المحال أن تنجب روما شيئا لك . . أيها الأصدقاء ، إننى مدين لهذا الرجل الصريع بدموع أغزر مما ستروننى أسكبها . . سأجد الوقت لبكائك يا كاسيوس . . سأجد الوقت » . (الفصل الخامس ، المشهد الثالث) .

ماركوس أنطونيوس . .

لم يكن لأنطونيو - كما سبق القول - شأن يذكر فى الفصلين الأولين من المسرحية . أما الفصول الثلاثة الأخيرة فتشهد تطورا سريعا عظيما لشخصيته ، بحيث تتجلى مواهبه الخطابية والسياسية والحربية على أكمل وجه . ذلك أن مقتل قيصر يبرز فى الرجل كل جوانب القوة والعظمة ، وسرعان ما يزول أى انطباع عنه بأنه « مجرد عضو من أعضاء جسد قيصر » ، ليس بوسعه أن يفعل أكثر مما سيفعله ذراع قيصر بعد الإطاحة برأس قيصر « كما وصفه بروتس ، أو المعربد اللاهى كما وصفه يوليوس قيصر . وقد كان كاسيوس - كالعادة - أثقب الجميع نظرة حين وصفه فى الفصل الثانى بأنه سيكون « خصما ماكرا واسع الحيلة ، إن استخدم وسائله وزاد من قوته فسيمتد خطره إلينا ويصيبنا منه شر » .

لم يحاول فى الرسالة التى بعث بها مع خادمه إلى بروتس أن يخفى حبه واحترامه لقيصر . غير أنه كان يفهم بروتس جيدا ، ويدرك أنه سيقدر فيه ولاءه لصديقه ،

وأن بوسعه أن يعتمد على كرم خلق بروتس واعتداده بنفسه إن هو أتاه راجيا أن يخطب في الجماهير راثيا لقيصر . ثم ها هو ينهى حديثه إلى المتأمرين بوعده غامض أن ينضم إلى زمريتهم لو أنهم تمكنوا من إقناعه بعدالة قضيتهم . . قد يتهمة بعضنا بالكذب والتمويه والالتواء . لكنه في كل هذا لا يختلف عن أعدائه ، وما نراه يفعل أكثر من أن يستخدم نفس وسائلهم للإيقاع بهم . وهو فوق ذلك لديه ما يشفع له ويرر وسائله ؛ ألا وهو قتلهم لأعز الناس لديه ، فأضحى الثأر له واجبه المقدس .

فأما عن خطبته في الجماهير فمن أشهر المشاهد في مسرحيات شكسبير طرا . فهنا دراسة دقيقة فذة للعبقرية خلال ممارسة صاحبها لها . . لقد أتى ليخطب بإذن كريم من بروتس ، بطل الساعة . . والجمهور المحتشد لسماعه معادٍ لقيصر ، على أنهم استعداد للفتك بمن يمجده أو يسىء إلى قتلته . فعليه إذن أن يكون حذرا للغاية ، حكيما كالحيات ، إذ يمكن أن يؤدى أى خطأ منه أو هفوة إلى مصرعه هو نفسه . . عليه ألا يناقض قوله بروتس إن قيصر كان طموحا . فليكتف بالحديث عن إنجازاته التى لا يُشتم منها رائحة الطموح ، تاركا الحكم النهائى لمنطق الغوغاء . وهو إذ يكرّر قوله :

« بيد أن بروتس يقول إنه كان طموحا ، وبروتس رجل نبيل » ،

تبتدى سخريته أكثر فأكثر ، ويتضح لأنطونيو أن حديثه قد بدأ يُحدث مفعوله في الجماهير . . وهنا يتوقف :

« اصبروا معى ، فقلبي الآن في التابوت هناك مع قيصر ، وعلى أن أسكت حتى يشوب إلى » .

وهو بتوقيفه هذا إنما يريد أن يعطى الوقت للجمهور حتى يناقشوا الأمر فيما بينهم ، وأن يصلوا إلى قرار بشأن طموح قيصر وما إذا كان المتأمرين قد أساءوا صنعا بقتله ، حتى يمضى بعد ذلك فيقول ما يريد قوله بحرية أوفر . . وهو بالضبط ما حدث . لقد كانت الغوغاء من دقيقتين فحسب تشك في نياته ، وتعادى قيصر . أما الآن فهى تتعاطف معه ومع قيصر . ومع إدراكه لذلك فهو لا يتعجل ، وإنما يزعم لهم أنه لا يريد أن يحرضهم على العصيان والتمرد على السادة النبلاء الذين قتلوا يوليوس قيصر ، في الوقت الذى يكون فيه تحريضهم على التمرد هو هدفه الأوحد .

إنه يترتّب حتى يضحي غضبهم عارما كالسيل ، ، والسبيل إلى ذلك هو التلويح لهم بمصالحهم الشخصية التى تخدمها وصية القتل . غير أنه يتظاهر بأنه لا يريد تلاوتها عليهم حتى لا يسىء إلى قتلته :

« صبرا أيها الأصدقاء الكرام . ليس من الصواب أن أقرأها ، إذ ليس من المناسب أن تعرفوا قدر الحب الذى كان قيصر يكتنه لكم . فما أنتم من خشب ، ولا أنتم من حجارة . وإنما أنتم بشر ، إن سمعتم وصية قيصر هاجت مشاعركم . وجن جنونكم . فمن الخير إذن أن تبقوا جاهلين بأنه جعلكم ورثة ما يملكه . إذا ما الذى عساه أن يحدث لو أنكم عرفتم ذلك ؟ » (الفصل الثالث ، المشهد الثانى) .

وهو قول ليس من شأنه إلا أن يوجب رغبة الجمهور في سماع الوصية ، فيضطر إزاء إلحاحهم إلى تلاوتها وكأنها على مضض :

« تجبروننى إذن على قراءة الوصية ؟ »

ثم يستخدم في الختام ورقته الأخيرة بأن يُظهر للجماهير عباءة قيصر التى كان يرتديها يوم نصره العظيم على جيوش النيرفى ، والتى مزقتها الخناجر ، ثم يُظهر لهم جثة قيصر نفسه التى قطع المتأمرين أوصالها . فما يفرغ من خطبته حتى يكون الشعب في قبضة يده ، وحتى يكون قدر المتأمرين قد حُسم .

(٣)

هذه المسرحية القوية الأثيرة دوما عند القراء والمشاهدين منذ أول عرض لها عام ١٥٩٩ إلى يومنا هذا بعد مرور أربعة قرون ، قد يأخذ عليها البعض ثلاثة مآخذ :

الأول : ضعف العنصر النسائى فيها . فثمة امرأتان فحسب فيها ، أولاهما - وهى كالبورنيا زوجة قيصر - لم يأبه شكسبير برسم شخصيتها أو بالتحدث إلا عن منام رأته ومناشدتها لقيصر ألا يمضى إلى الكابيتول يوم منتصف مارس . غير أن المسرحية هى مسرحية رجال في المقام الأول ، ولم يكن للنساء دور يذكر في الأحداث التاريخية التى تتناولها .

والثاني : ضعف الفصل الخامس بالمقارنة بالفصول السابقة ، وهو الذى يتعلق بأكمله بمجرى المعركة الفاصلة فى سهول فيليبى ومصائر المتحاربين . وهو عيب كثيرا ما نلمسه فى الفصل الخامس من مسرحيات شكسبير . وقد قيل فى تفسير ذلك أن شكسبير كان لا يبلغ الفصل الختامى من أية مسرحية يكتبها حتى يكون عقله قد شُغل بفكرة المسرحية التالية ، فيتعجل الفراغ منه حتى يشرع فى كتابة المسرحية الجديدة .

والثالث : ما سبق الإشارة إليه من مصرع قيصر قبل أن تبلغ المسرحية منتصفها . ونلاحظ هنا أن نفس الشيء تقريبا يتكرر فى مسرحية « مكبث » التى يُقتل فيها الملك دنكان فى منتصفها . فشكسبير فى المسرحيتين (شأن دوستويفسكى فى روايته « الجريمة والعقاب ») إنما يعنيه مجرى الجريمة من وقت نشوء فكرتها ، إلى ارتكابها ، إلى عواقبها والثأر لها ، أكثر مما يعنيه أمر المجنى عليه . كما يعنيه ذلك القدر الذى يدفع إلى ارتكاب الجرم ، ويستخدم الجانى أداة له ، ثم يحطمه تحطيا جزاء ارتكابه لفعلته ، فيرة العدالة إلى نصابها .

وختاما نقول إن مسرحية « يوليوس قيصر » هى من أروع ما خطه قلم شكسبير . وهى بداية سلسلة أعماله الكبرى التى تشمل « هاملت » ، و« عطيل » . و« الملك لير » ، و« مكبث » ، و« أنطونيو وكليوباترا » ، و« كورولانوس » و« العاصفة » .

(٤)

بقيت كلمة أخيرة عن بعض مشاكل ترجمة شكسبير :

وأولى هذه المشاكل بطبيعة الحال تتعلق بروعة لغته وشعره التى هى من المقومات الرئيسية لعظمته ، والتى يضيع جُل تأثيرها فى الترجمة . فما من شخص إذن قادر على قراءة مؤلفاته فى أصلها الإنجليزى تُقره على انصرافه عن الأصل إلى الترجمة من قبيل الاستسهال .

والثانية : هى فى كثرة استخدام شكسبير للتورية والجناس ، وولعه المفرط بهما . وهو ما لابدّ معه من البحث المضى عن مقابل لهما فى اللغة التى يُترجم النص إليها ، مع ما يعنيه ذلك من التضحية بالدقة والحرفية من أجل الحفاظ على روح النص وقصد المؤلف . وأبرز مثال على ما نقول فى مسرحية « يوليوس قيصر » تكرر استخدام الإسكافى للتورية والجناس فى حديثه مع فلافيوس ومارولوس فى المشهد الأول من الفصل الأول .

وتتصل المشكلة الثالثة بمهمة الترجمة بوجه عام . لقد كان من دأب الدكتور أ. ف. ريو E.V.Rieu (محرر سلسلة المؤلفات الكلاسيكية التى تصدرها دار بنجوين Penguin الإنجليزية للنشر) أن ينصح مترجمى هذه المؤلفات بقوله : " Write English " . ومعنى هذا أنه من المهم جدا فى الترجمة أن يبدو المؤلف وكأنه ألف كتابه فى الأصل باللغة التى يُترجم إليها . وعلى هذا الأساس ذاته يقوم وصف المستشرق البريطانى سير هاملتون جيب لترجمة مصطفى لطفى المنفلوطى لعدد من روائع الأدب العالمى بأنها مثال يحتذى بفضل رصانة اللغة العربية فيها .

ومترجم شكسبير لابد أن يتوقف طويلا حتى يقرر ما إذا كان المطلوب هو الترجمة وكأنها كتب شكسبير المسرحية أصلا باللغة العربية ، فيستمتع بها القارئ أو المشاهد العربى استمتاع القارئ أو المشاهد الإنجليزى بالأصل ، أم هو نقل النص إلى العربية فى حرفة صارمة حتى تتوفر لدى دارسى المسرحية (خاصة من طلاب المدارس والجامعات) ترجمة دقيقة لما كتبه شكسبير بالفعل .

ومع ميل إلى رأى الأول ، فإنى أرى مع الناشر ومع الدارسين ما يبرر مراعاة الرأى الثانى أيضا . وقد جاءت ترجمتى تشق طريقا وسطا بين الرأين ، وتحترم قدر الإمكان حُجَّتَي الطرفين ، حتى لا يكون الالتزام بإحدهما على حساب الأخرى ، معترفا للقارئ بعد هذا كله بحقه فى إصدار الحكم .

حسين أحمد أمين

مصر الجديدة فى ٣ فبراير ١٩٩٤

يوليوس قيصر

شخصيات المسرحية

يوليوس قيصر
أوكتافيوس قيصر
ماركوس أنطونيوس
إيميليوس ليبيدوس
شيشرون
بولبيوس
بولبيوس لينا
ماركوس بروتس
كاسيوس
كاسكا
تريونيوس
ليجار يوس
ديسيوس بروتس
ميتيلوس سيمبر
سينّا
فلافوس
مارولوس

أعضاء الحكومة الثلاثية عقب مصرع
يوليوس قيصر

أعضاء في مجلس الشيوخ

متآمرون ضد يوليوس قيصر

من محاميّ العوام^(١)

tribunes (١)

أرتيميدورس

عرّاف

سينّا

شاعر آخر

لوسيليوس

تيتينيوس

ميتّالا

كاتو الصغير

فولا منيوس

فارو

كليتيوس

كلوديوس

ستراتو

لوسسيوس

داردانيوس

بينداروس

كالبورنيا

بورشا

شاعر

من أصدقاء بروتس وكاسيوس

خدم بروتس

خادم كاسيوس

زوجة قيصر

زوجة بروتس

أعضاء في مجلس الشيوخ - مواطنون - حراس

تدور أحداث المسرحية في روما (الفصول الثلاثة الأولى ، والمشهد الأول من الفصل الرابع) ، ثم في معسكر قرب سارديس (المشهدين الثاني والثالث من الفصل الرابع) ، ثم في سهول خارج فيليبي (الفصل الخامس)

مشاهد المسرحية

الفصل الأول : المشهد الأول : أحد شوارع روما

المشهد الثاني : ميدان عام

المشهد الثالث : شارع بروما

الفصل الثاني : المشهد الأول : بستان دار بروتس

المشهد الثاني : دار قيصر

المشهد الثالث : شارع قرب الكايتول

المشهد الرابع : أمام دار بروتس

الفصل الثالث : المشهد الأول : أمام الكايتول

المشهد الثاني : الساحة العامة

المشهد الثالث : شارع بروما

الفصل الرابع : المشهد الأول : منزل في روما

المشهد الثاني : معسكر قرب سارديس ، أمام خيمة بروتس

المشهد الثالث : خيمة بروتس

الفصل الخامس : المشهد الأول : سهول فيليبى

المشهد الثاني : ميدان القتال

المشهد الثالث : جانب آخر من ميدان القتال

المشهد الرابع : موضع آخر من ميدان القتال

المشهد الخامس : موقع آخر من ميدان القتال

الفصل الأول

الإسكافي : نعم ، فأنا إسكاف^(١) في هذه الأمور .

فلافيوس : أنت إسكاف^(١) إذن ، أليس كذلك ؟

الإسكافي : هذا حق ياسيدي . فالمثقاب هو وحده ما أرتزق منه ؛ لا أقحم نفسي في شؤون رجال التجارة ولا في شؤون النساء ، وإن كنت أثقُب لهم جميعا . فأنا في واقع الأمر يا سيدي طبيب النعال القديمة ؛ إن أحاق بها خطر عظيم أنقذت حياتها بترميم رمتها . وما يمشى السادة الأفاضل ذوو الأحذية الجلدية إلا على آثار صناعتي .

فلافيوس : فما السبب إذن في تغيبك اليوم عن حانوتك ؟ ولماذا تطوف بهؤلاء الرجال في الطرقات ؟

الإسكافي : حتى تبلى نعالهم يا سيدي فيزيد عملي وكسبي ! . . . فإن شئت الجذ لا الهزل ، فإنها أعطينا أنفسنا إجازة حتى نشاهد قيصر ونسعد برؤية موكب نصره .

مارولوس : وأية سعادة في ذلك ، هه ؟ أى فتح ذاك الذى عاد به إلينا ؟ أى ملوك وأمراء يتبعون ركبهم إلى روما وقد دانوا له بالطاعة ؟ أين أغلال الأسرى التى تربطهم بعجلات عربته فتزيد من مجده ؟ . . . أما إنكم لأغبياء حقا ! حجارة لا إحساس فيها ، وأسوأ حالا من الجهاد الخالى من الشاعر ! آه من قلوبكم الفظة ومن قسوتكم يا رجال روما ! أما كنتم تعرفون بومبى ؟ كثيرة وعديدة تلك المرات التى كنتم فيها تتسلقون الأسوار وإلى أسطح الحصون والقلاع والنوافذ . نعم ، بل وإلى أعلى المداخل ، تحملون أطفالكم بين أذرعكم ، وتقضون هناك اليوم بأكملهم ، منتظرين في صبر ، حتى تشاهدوا بومبى العظيم وهو يمر في شوارع روما . وحين كنتم تلمحون عربته قادمة من بعيد ، أما كنتم تصيحون معا مهللين ،

(١) الإسكاف : الحاذق . (لسان العرب) .

المشهد الأول

أحد شوارع روما

(يدخل فلافيوس ومارولوس وبعض العامة)

فلافيوس : تفرقوا ! إلى بيوتكم أيها الكسالى . . . عودوا إلى دياركم ! هل اليوم يوم عطلة ؟ ألا تعلمون أنه من المحظور على أفراد الطبقة العاملة أن يخرجوا في أيام العمل دون أن يحملوا معهم ما يدل على صنعتهم ؟ . . . تكلم أنت ! ما صناعتك ؟

نجار : نجار يا سيدي

مارولوس : فأين مثزك الجلدي إذن ؟ وأين مسطرتك ؟ وما الداعي إلى ارتدائك اليوم خير ملايسك ؟ هه ؟ . . . وأنت يا هذا ! ما صناعتك ؟

إسكافي : إن أردت الحق يا سيدي ، وإن أنا قورنث^(١) بغيري من الصناعات المهرة ، فلست إلا ما يمكنك أن تسميه مشتغلا بالإصلاح .

مارولوس : ولكن ما هي صنعتك ؟ أجبني دون التواء .

الإسكافي : صنعهُ أملُ أن أؤذيها ياسيدي وضميرى مرتاح . هي في واقع الأمر يا سيدي إصلاح مسيرة الخلق .

مارولوس : ما صنعتك يا فاسق ؟ ما صنعتك أيها الفاسق الوقح ؟

الإسكافي : أناشدك يا سيدي ألا تخرج عن طورك معي . ومع ذلك فإنك إن خرجت يا سيدي فبوسعى إدخالك وإصلاحك .

مارولوس : ماذا تعنى بقولك هذا ؟ تُصلحني أيها الوقح ؟

الفصل الأول

فيرتعد نهر التبر بين شطآنه المتعرجة ؟ . . غير أنكم اليوم ترتدون أفضل ثيابكم ، وتقررون أن يكون اليوم يوم عطلة ، وتثرون الأزهار في طريق ذلك الذي يأتيكم وقد انتصر على أبناء بومبي ! . . انصرفوا وارجعوا عدواً إلى دياركم ، واركعوا سائلي الألهة أن تجنبكم شر الطواغين التي يستحقها نكرانكم للجميل .

فلافيوس : انصرفوا أيها المواطنون الطيبون . انصرفوا وكفروا عن خطيئكم بأن تجمعوا كافة المساكن من طبقتكم ، وتقودوهم إلى ضفاف التبر ، لتسكبوا العبرات في النهر حتى يرتفع الضحل من مائه فيغمر أعلى شطآنه طراً .

(تخرج العامة بأسرها)

ألا ترى كيف تأثر معدنهم الخسيس وتحركت مشاعرهم ؟ إنهم ينصرفون وقد عقد ألسنتهم الندم . . . امض أنت في ذلك الطريق صوب الكابيتول ، وسأمضي أنا في هذا السبيل . فإن وجدت التائبين مجللة بالشرائط والأوشحة فجردها منها .

مارولوس : أمن حقنا أن نفعل هذا ؟ أنت تعلم أن اليوم هو عيد الخصوبة .

فلافيوس : لاضير من هذا . . فلا تدع التائبين وعليها زينة الاحتفال بانتصار قيصر . . سأسير في المدينة فأطرد القوغاء من شوارعها . ولتحد أنت حدوى حيثما رأيتهم محتشدين . فإن نحن نزعنا هذا الريش النامي من جناح قيصر ، خلنا بينه وبين التحليق فوقنا بعيداً عن أنظار البشر ، وإلا عشنا منه في رعب كرعب العبيد .

المشهد الثاني

ميدان عام

صوت أبواق - يدخل قيصر وأنطونيو (وهو مستعد للعدو)^(١) ، وكالبورنيا ، وبورشا ، وديسيوس ، وشيشيرون ، وبروتس ، وكاسيوس ، وكاسكا ، يتبعهم جمع غفير من الناس من بينهم عراف .

قيصر : (ينادي) كالبورنيا !

كاسكا : صه ! هذا قيصر يتكلم .

قيصر : كالبورنيا !

كالبورنيا : ها أنا ذا يامولاي .

قيصر : قفى في طريق أنطونيو متصدية له حين يبدأ العدو في الطريق . . . أنطونيو !

أنطونيو : مولاي قيصر !

قيصر : لا تنس في سرعة عدوك يا أنطونيو أن تلمس كالبورنيا . فأجدادنا يقولون إن المرأة العقيم إذا ما لمست أثناء هذا العدو المقدس تزول عنها لعنة العقم .

(١) جرت العادة في روما أثناء الاحتفال بعيد الخصوبة Luperalia أن يعدو عدد من شباب النبلاء عراة في الشوارع ، وفي أيديهم مضارب من جلد ، يتظاهرون بضرب كل من يعترض طريقهم . وكان من عادة النسوة الراغبات في الحمل أن يقفن في طريقهم ويمددن أيديهن حتى يضربها هؤلاء العداءون ، معتقدات أن رغبتهم ستحقق بذلك .

أنطونيو : سأ تذكر ذلك . فما من أمر يأمر به قيصر إلا نُفِّذ .

قيصر : فليبدءوا إذن . ولا تهملوا أيًّا من الشعائر .

العَرَّاف : قيصر !

قيصر : هه ! من ينادى ؟

كاسكا : لتخدم الأصوات جميعا ، والزموا السكون مرة أخرى .

قيصر : من ذا الذى ينادينا من هذا الحشد ؟ أسمع صوتا يعلو على صوت الموسيقى ينادى « قيصر ! » . تكلم ، فقد أدار قيصر أذنه لسمع .

العَرَّاف : حذارٍ من منتصف مارس !

قيصر : أى رجل هذا الذى يتكلم ؟

بروتس : عَرَّاف يحذرك من منتصف مارس .

قيصر : إثنونى به حتى أرى وجهه .

كاسيوس : تقدّم أيها الرجل من بين الجمع وانظر فى وجه قيصر .

قيصر : ماذا عساك أن تقول الآن لى ؟ تكلم مرة أخرى .

العَرَّاف : حذار من منتصف مارس !

قيصر : إنه حالم ! لنتركه ونمض فى سبيلنا .

(صوت أبواق . يخرج الجميع عدا بروتس وكاسيوس)

كاسيوس : ألن تذهب لمشاهدة العُدُو ؟

بروتس : كلا .

كاسيوس : أنا شاك أن تذهب .

بروتس : لستُ ممن يهتم بالرياضة ، وأجدنى افتقر إلى جانب من تلك الحيوية التى يتمتع بها أنطونيو . . . ولكن لاتدعنى أعطلك يا كاسيوس . . سأتركك وشأنك .

كاسيوس : قد لاحظتُ يا بروتس فى الآونة الأخيرة أن عينيك لم تعودا تظهران لى من

الرقّة والحب ما اعتدتُ أن أجدهما فيهما ، وأنتك تبدو قاسيا فاترا تجاه صديقك الذى يُعزّك .

بروتس : لأتسّى فهمى يا كاسيوس . فإن كانت عيناى لا تفصحان عما يدور بخاطرى ، فإنها تعكس جهامة وجهى جهامة ما يجرى بداخلى . . . لقد بدأت تقلقنى منذ مدة مشاعر متباينة ، وأفكار لا تخص أحدا سوى ، قد تكون من أسباب نوعك سلوكى . ولكنى أمل ألا يبتس من ذلك أصدقائى الحميمون - وأنت فى عدادهم يا كاسيوس - وألا يفسّروا إهمالى لهم إلا بأن بروتس المسكين الذى يعانى من صراع مع نفسه قد أغفل إظهار مودته للآخرين .

كاسيوس : قد أخطأتُ إذن يا بروتس خطأ كبيرا فى تفسير مشاعرك ، فدفعنى خطئى إلى أن أخفى فى صدرى أفكارا ذات شأن خطير ، وخططا لها وزنها . . . ولكن ، خبرتى يا بروتس ، هل بإمكانك أن ترى وجهك ؟

بروتس : لا يا كاسيوس ، فالعين لاترى نفسها إلا إن انعكست صورتها فى شىء آخر .

كاسيوس : هذا حق . وإنه لمن المؤسف للغاية يا بروتس أن أجداك تفتقر إلى المرايا التى بوسعها أن تبدى لعينك مزاياك الخافية ، فترى صورتك فيها . . . لقد سمعتُ الكثيرين من صفوة القوم فى روما - عدا قيصر زعيمنا الخالد ! - وهم يتحدثون عن بروتس ، يثنون من رزحهم تحت وطأة طغيان العصر ، ويتمنون لو أن بروتس النبيل يرى ما يرون .

بروتس : أية أخطار تلك التى تدعونى إلى خوضها يا كاسيوس ، إذ تطالبنى بأن أبحث فى طويّتى عن أشياء هى خالية منها ؟ .

كاسيوس : فلتعدّ نفسك إذن لسماع السبب يا بروتس . وإذ أنت تدرك أنه ليس بوسعك أن ترى نفسك جيدا إلا فى مرآة ، فلاكن أنا مرآتك التى ستبين لك دون تهويل أو مبالغة جانبا من نفسك لم تعرفه أنت نفسك بعد . . ولاتشكّر فى بواعثى أى بروتس الطيب ، مالم تكن ترانى امرءا هُزّأ ، أدع الصدا يكلّل مودتى بأن أقطع على نفسى عهد الصداقة كل يوم لكل

صديق جديد يُظهر لى ودًا ، وما لم تكن تحسبني أترلف إلى الناس ، وأضمتهم بقوة إلى صدرى عند اللقاء ، ثم أسبّتهم وراء ظهورهم ، ومالم تكن ترانى أفصح للكافة عن مكنون صدرى فى المآذب . . . حيثذ فقط يضحى من ححك أن ترى فى إنسانا خطرا .

(صوت أبواق وهتاف)

بروتس : ما معنى هذا الهتاف ؟ أخشى أن يكون الناس على وشك أن يختاروا قيصر ملكا عليهم .

كاسيوس : أتحشى حدوث ذلك ؟ إذن فأنا محق فى ظنى أنك كاره لما تحشاه .

بروتس : أنا كاره لذلك يا كاسيوس ، وإن كنت أكنّ للرجل مودة صادقة . . ولكن ، لماذا تستبقينى هنا معك كل هذا الوقت ؟ ما الذى تسعى إلى الإيجاء به لى ؟ لو أنه أمر يخدم الصالح العام ، فلتشق فى أنك لو وضعت الشرف نصب عين لى ، والموت نصب العين الأخرى ، لنظرت هادئا إليهما معا دون تفرقة بينهما . ولتكن مكافأة الألهة لى بقدر حبي للشرف الذى يفوق فى جسامته خوفى من الموت .

كاسيوس : أعرف فيك هذا النبل يا بروتس معرفتى بشكلك وصورتك . حسنا . . إن الشرف هو موضوع حديثى الآن . . لا أدرى كيف تنظر أنت أو غيرك إلى هذه الحياة . فأما عنى شخصا فإننى أفضّل الموت لتوى على أن أعيش فى خوف من مخلوق لا يزيد حجمه عن حجمى . . لقد وُلدت حرا كقيصر ، وكذلك أنت . وكان غذاؤنا طيبا كغذائه . وبوسع كلينا أن نتحمل برد الشتاء كما يتحملّه . . . لقد حدث مرة فى يوم بارد عاصف ، تلطم فيه أمواج نهر التّير الصاخبة سُطْثانه ، أن قال قيصر لى : « إنى أتمحداك الآن يا كاسيوس أن تلقى بنفسك معى فى خضم هذا الفيضان الغاضب ، فنسبح حتى ذلك الموقع هناك » . فما كان منى إلا أن ألقيت بنفسى للتو واللحظة وأنا بملبسى الذى كان على ، سائلا إياه أن يخذو حذوى . . ولقد فعل . . كان التيار صاخبا . وقد قاومناه بعضلاتنا القوية نشق طريقنا فيه ، ونتحدها فى شجاعة معارضين

إسياه . . غير أننا قبل أن نصل إلى الموقع المقترح ، إذا بقيصر يصرخ : « أغثنى يا كاسيوس وإلا غرقت ! » . . نعم ! وكما انبرى سلفنا العظيم إيناس لينقذ أباه الهرم أنشيس من هيب طروادة وهى تحترق ، فحمله على كتفه فزارا به ، كذلك فقد حملت قيصر المنهك لأنقذه من أمواج التّير . . . وقد أضحى هذا الرجل الآن إلها ! وأما كاسيوس فمخلوق حقير ، عليه أن يحنى قامته إن حيّاه قيصر فى استخفاف بإيذاء بسيطة من رأسه . . . لقد أصابته الحمى مرة حين كان فى أسبانيا ، فلما اشتدت عليه وطأها رأيته بعينى وهو يرتعش . . . نعم ! هذا الإله رأيته يرتعد ، فى حين فرّ من شفتيه الجبانيتين لونهما ، أما عيناه فقد فقدتا بريقهما ، وهما نفس العينين اللتين تخيفان العالم الآن . . . وسمعته وهو يتأوه . . أجل ! وما كان من لسانه الذى طالب الرومان يوما بالإنصات إليه حتى يستجلوا خطبه فى كتبهم ، إلا أن ولول قائل : « وأسفاه ! أعطنى شرابا يا تيتينيوس » . تماما كما تتكلم أية فتاة عليلة ! يا إلهى ! إنى لأعجب كيف أمكن لرجل ضعيف مثله أن يرقى إلى هذه المكانة الشاخة فى عالمنا الرائع ، وأن يستحوذ لنفسه على الثمرة .

(صوت صياح وأبواق)

بروتس : هتاف آخر من الجموع ؟ ما أحسب الداعى إلى هذه الهتافات إلا ما يغدقونه على قيصر من آيات التكريم .

كاسيوس : تتبّه أيها الرجل . . إنه يخطو الآن بقدميه فى عالمنا الضيق فى مشية كمشية العملاق الضخم . وأما نحن التافهون فنسير فى ظل ساقيه العظيمتين ، ونتلفت حولنا باحثين لأنفسنا عن مقابر ندفن فيها خزيانا وعارنا . . . غير أن الإنسان بوسعه أحيانا أن يكون سيد قدره . فالمسئولية يا عزيزى بروتس عن مذلّتنا ليست مسئولية الأبراج التى ولدنا فيها ، وإننا نحن المسئولون عنها . . « بروتس » و« قيصر » : ما الذى ينطوى عليه اسم « قيصر » ؟ لماذا يتردّد هذا الاسم أكثر مما يتردد على الألسنة اسمك ؟ اكتبهما معا ، وسنرى اسمك فى بهاء اسمه . تفوّه

بهما ، وسنرى وَفَع اسمك في حُسْن وقع اسمه . زنها في الميزان ، وسنرى
ثَقُل اسمك كثقل اسمه . ليستخدما السحرة في استحضار الأرواح ،
وسنرى اسم « بروتس » يستحضر الروح في مثل سرعة استحضار اسم
« قيصر » لها . . . فبحق الألهة جميعا دفعة واحدة ، أى غذاء ذلك
الذى تغذى عليه قيصرنا هذا حتى غدا على هذه الدرجة من الضخامة ؟
. . قد وُصِم زماننا بالعار ، وفقدت ياروما القدرة على إنجاب النبلاء !
إذ متى كان ثمة عصر فيها منذ زمن الطوفان العظيم إلا ضمن ذبوعٍ
صيته أكثر من رجل واحد ؟ ومتى كان بوسع المتحدثين عن روما - إلا
اليوم - أن يقولوا إن أسوارها المتناهية لا تحوى غير رجل واحد ؟ إنها لا
تزال تحمل اسمها المجيد ، غير أن مساحتها لم تعد تكفى لغير رجل
فرد . . . لقد سمعت أنت ، وسمعت أنا ، آباءنا يقولون إنه كان ثمة في
ماضينا رجل يدعى بروتس^(١) ، ما كان ليتحمل أن يهيمن ملكٌ على
روما أكثر من احتمال أن يهيمن عليها الشيطان الأزلى .

بروتس : فأما عن مودتك لى فإننى واثق منها . وأما ما تحاول إقناعى به فلدى فكرة
عنه . وسأذكر لك فيما بعد رأى فى هذا وفى الزمن الذى نعيش فيه . أما
الآن ، فإننى أستحلفك بحق صداقتنا ألا تحاول المزيد من تحريضى . .
سأفكر فيما قلته لى . وسأنصت فى صبر إلى ما لم تقله لى بعد ، مهيتا
الفرصة المناسبة للاستماع إلى هذه الأمور الهامة والرّدة عليك . فحتى ذلك
الحين ، أيها الصديق النبيل ، عليك أن تذكر أن بروتس يفضل أن يكون
فلاحا فى قرية من القرى على أن يُحسب من أهل روما فى ظل هذه
الظروف الصعبة التى فرض زماننا علينا أن نعيش فيها .

(١) لوسيوس بروتس الذى تزعم حركة طرد آخر ملوك روما (تاركوين) وأصبح أول قنصل فيها .
ويذكر بلوتارك أن ماركوس بروتس كان يقول إنه من نسل بروتس هذا .

كاسيوس : إننى سعيد إذ أرى كلماتى الواهنة قد أوقدت فى بروتس مثل هذه الشعلة .
بروتس : قد انتهت الألعاب . وها هو قيصر يعود .
كاسيوس : أمسك بذراع كاسكا أثناء مرورهم ، وسيخبرك بأسلوبه المثير المألوف بما
حدث اليوم من جلائل الأمور .
(يدخل قيصر وجمهور تابعيه)

بروتس : سأفعل ذلك . . ولكن ، انظر يا كاسيوس إلى هذه البقعة الحمراء
تتوهج على جبين قيصر الغاضب ، وكيف يبدو كافة تابعيه فى ندم
وانكسار . . كالبورنيا شاحبة الوجه ، فى حين يبدو شيشيرون كابن
عِرس ، نارى اللحظ كما عهدناه فى الكابيتول ، عند معارضة الشيوخ له
أثناء المداولات .

كاسيوس : سينبثنا كاسكا بها حدث .

قيصر : أنطونيو !

أنطونيو : مولاي .

قيصر : حبذا لو أنى لم أتحذ فى بطانتى غير الرجال السّان . رجال ناعمو البال
ينامون الليل . أما كاسيوس هذا الواقف هناك ، فنحيل عليه مسحة
الجوعى ، ويفكر أكثر مما ينبغى . . الرجال من أمثاله رجال خطرون .

أنطونيو : لا تخش يا قيصر ، فهو ليس بالرجل الخطر ، وإنما هو رومانى نبيل
كريم الخلق .

قيصر : حبذا لو كان أسمن بدنا ! غير أنى لا أخشاه . ومع ذلك فلو كان
بالإمكان أن أستشعر الخوف ، لما كان ثمة من هو من واجبى أن أتجنّبه
للتو غير هذا النحيل كاسيوس . إنه كثير القراءة ، يلاحظ كل ما
يدور ، عظيم الفراسة فى إدراكه للبواعث وراء تصرفات الناس . . إنه لا
يحب المسرح حبك إياه يا أنطونيو . ولا يستمع إلى الموسيقى . نادرا ما
يبتسم . فإن ابتسم فكأنها يسخر من نفسه محتقرا إيّاها إذ يدفعها أمر من

الأمر إلى الابتسام . أمثاله لا يمكن أن يستشعروا الراحة وهم يرون رجلا أعظم منهم . ولذا فهم خطرون جدا . . . إننى إنما أحدثك عمن ينبغى على الناس أن يخشوه ، لأعما أخشاه أنا . فأنا دائما قيصر . . ولكن ، تحول إلى يمينى فأذنى اليسرى صمًا لا تسمع ، وخبرنى صراحة عن رأيك فيه .

(صوت بوق - يخرج قيصر وكافة تابعيه عدا كاسكا)

كاسكا : أجدبتنى من عباءتى لرغبتك فى التحدث معى ؟

بروتس : نعم يا كاسكا . خبرنا بما حدث اليوم فأحزن قيصر إلى هذا الحد .

كاسكا : ألم تكن معه إذن ؟

بروتس : ما كنتُ لأسألك عما حدث لو أنى كنت معه .

كاسكا : عرضوا عليه تاجا . غير أنه ردّ التاج هكذا بظاهر يده ، فشرع الناس يهتفون .

بروتس : وماذا عن الهتاف الثانى ؟

كاسكا : لنفس السبب .

كاسيوس : قد هتفوا ثلاث مرات . فماذا عن الهتاف الأخير ؟

كاسكا : للسبب عينه .

بروتس : أعرض التاج عليه ثلاث مرات ؟

كاسكا : عرض عليه ثلاث مرات وردّه ثلاث مرات . وكان ردّه إيّاه فى كل مرة أضعف من المرة السابقة . وفى كل مرة ردّه فيها كان الطيّون المحيطون بى يرفعون عقيرتهم بالهتاف .

كاسيوس : من الذى عرض التاج عليه ؟

كاسكا : أنطونيوس بطبيعة الحال .

بروتس : أحطنا بالتفاصيل أى كاسكا العزيز .

كاسكا : الشئ عندى أيسر من ذكر التفاصيل . . كان الأمر تهريجا محضا ، ولم ألق بالآ إلىه . . رأيت ماركوس أنطونيوس يعرض عليه تاجا . لكنه لم يكن بتاج ، وإنما كان إكليلا صغيرا . غير أنه ردّه كما سبق أن ذكرت . وفى ظنى رغم هذا أنه كان يودّ قبوله . ثم عرضه عليه أنطونيوس مرة أخرى ، فردّه مرة أخرى . غير أنه فى ظنى كان أسفا أشدّ الأسف إذ يضطر إلى رفع أصابعه عنه . ثم عرضه عليه مرة ثالثة ، فردّه مرة ثالثة . ولما ردّه هتفت الغوغاء وصفقت بأيديها الخشنة ، ورمى الناس فى الهواء بقلائسهم الناضحة بالعرق ، وصدرت عنهم زفرات كثيرة كريهة الرائحة لمجرد أن قيصر قد رفض التاج ، حتى كادت زفراهم أن تخنق قيصر . فقد غشى عليه ووسقط على الأرض من وطأتها . . وأما عنى فلم أجرو على الضحك خشية أن أضطر إلى فتح فمى فأستقبل فيه الهواء الفاسد .

كاسيوس : مهلا ، أرجوك ! هل غشى على قيصر حقا ؟

كاسكا : سقط على الأرض فى ساحة السوق ، وخرج الزبد من فمه ، وفقد القدرة على النطق .

بروتس : هذا جائز ، فهو مصاب بالصرع .

كاسيوس : ليس قيصر المصاب بالصرع ، وإنما هو أنت ، وأنا ، وكاسكا الأمين . المصابون بالغشية .

كاسكا : لا أدري ما تعنيه بقولك هذا . غير أنى واثق من أن قيصر قد سقط على الأرض . وصدّقانى حين أقول لكما إن السوق كانت تصفق له إعجابا . أو تصفر له استهزاء ، كلما راقها أو أسخطها أداؤه ، تماما كما تعامل الممثلين فى المسرح .

بروتس : فماذا قال حين أفاق إلى وعيه ؟

كاسكا : قبل أن يسقط ، وحين لاحظ أن قطعان الناس سعيدة برفضه قبول التاج ، رأيته يكشف عن صدره ، ويعرض عليهم أن يقطعوا رقبتة . فلو أنى كنت رجلا من الطبقة العاملة ولم أبادر بقطع رقبتة ، لوددت

أنى قد حُشِرْتُ في جهنم في زُمرَةِ المجرمين . . قد هوى إذن على الأرض . وحين أفاق طلب من حضرات المحترمين أن يغفروا له إن كان قد أساء التصرف أو القول ، وأن ينسبوا هذه الإساءة إلى مرضه . وقد لمحْتُ بجانبى ثلاث أو أربع فتيات ييكن ويصحن : « وأسفًا أيها المسكين العزيز ! » ، وغفرن له من صميم قلوبهن . غير أنهن مجرد فتيات لا يؤبه لهن . ولو أن قيصر صرغ أمهاتهن لما فعلن غير ما فعلن .

بروتس : ثم انصرف عنهم بعد ذلك حزينا كاسف البال ؟

كاسكا : نعم

كاسيوس : هل نطق شيشيرون بشيء ؟

كاسكا : نعم . تحدّث باليونانية .

كاسيوس : فماذا قال ؟

كاسكا : أكون كاذبا لو أنى نقلت إليك ما قال . غير أن أولئك الذين فهموا قوله تبادلوا الاتسام وهزّوا رؤوسهم . وأما عنى فلم أفهم حرفا من يونانيته . . بوسعى أن أخبركما المزيد أيضا . فقد طُرد مارولوس وفلاقيوس من منصبيهما لنزعهما الأوشحة المعلقة على تماثيل قيصر . . والآن أترككما . . كان باستطاعتي أن أخبركما بسخافات أخرى وقعت لولا أنى قد نسيتها .

كاسيوس : تناول معى العشاء الليلة يا كاسكا .

كاسكا : لا ، فلدى ارتباط آخر .

كاسيوس : فلتتّعش معى غدا إذن

كاسكا : نعم ، شريطة أن أعيش إلى الغد ، وألا تغيّر رأيك ، وأن يكون طعامك أهلا لأن يؤكل .

كاسيوس : حسنا ! سأنتظرك إذن .

كاسكا : انتظرنى . . والآن أترككما (يخرج)

بروتس : قد غدا كاسكا غيبا مُدَّ شَبَّ ونها ، بعد أن كان حادّ الذكاء في أيام الدراسة .

كاسيوس : لا يزال إلى اليوم ذكيا حين يتعلّق الأمر بتنفيذ أى مشروع جرىء أو نبيل ، مهما أخفى ذكاءه تحت هذا الستار من التغايب . وماواقحته التى نلمسها إلا بمثابة الصلصة يضيفها إلى حديثه الذكى ، فتسهل على الناس استساغة كلماته ، وابتلاعها بشهية أكبر .

بروتس : هو ذاك . . غير أنى أتركك الآن . فإن شئت التحدث معى غدا أتيتُ إلى دارك . وإن شئت المجيء إلى دارى فسأكون فى انتظارك .

كاسيوس : سأفعل ذلك . فحتى نلتقى ، فكّر فى مجريات الأمور .

(يخرج بروتس)

إنك امرؤ نبيل يا بروتس . . غير أنى ألاحظ أن معدنك النقى قد يؤثّر فيه ما يغيّر خواصّه . . لذلك فإنه من مصلحة الشخصيات النبيلة ألا تخالط إلا من هم على شاكلتها . إذ من ذا الذى هو من الصلابة بحيث لا يمكن إفساده ؟ . . إن قيصر يكرهنى . غير أنه يحب بروتس . ولو كنتُ مكان بروتس وكان بروتس مكانى لما تمكّن من إقناعى . . سأكتب الليلة أوراقا بخطوط متباينة ، وأدسّها فى نوافذ داره ، وكأنها هى رسالة إليه من عدّة مواطنين ، كلها تتحدث عن التوقير البالغ الذى تكنه روما لاسمه ، وتلمّح من بعيد إلى طموحات قيصر . وليحاول قيصر بعد ذلك أن يستشعر الأمان ؛ فإما أن نسحقه ، أو نواجه زمنا هو أبشع مما كان .

(يخرج)

امرأة كالأشباح ، بشعات الصورة ، قد غيرَ الخوف من سحناتهن ، أقسمن أنهن قد شاهدن رجالا غلّفتهم النار يذرعون الطرقات جيئة وذهابا . . وأبصرتُ في ساحة السوق ظهر أمس بومة من البوم التى لا تنشط إلا ليلا ، وهى تصبح وتصرخ . . . فإن تزامن حدوث كل هذه الأعاجيب لم يعد ثمة معنى لقول البعض : « هى أمور طبيعية لها مسبباتها » . ففى ظنى أنها تنذر بوقوع أحداث شنيعة فى البلد الذى شهدها .

شيشيرون : أوافقك على أن زمننا غريب يمكن أن يشهد أحداثا غريبة . غير أن بوسع أى امرئ أن يفسر مثل هذه الأمور على هواه ، بغض النظر عن المعنى الحقيقى لها . . . ولكن ، هل سيأتى قيصر غدا إلى الكايبيتول ؟

كاسكا : نعم . فقد طلب من أنطونيوس أن يخطر بباله سيكون غدا هناك .

شيشيرون : طابت ليلتك إذن يا كاسكا . فما ينبغى لنا أن نسير فى ظل مثل هذه السماء المكفهرة .

كاسكا : إلى اللقاء يا شيشيرون (يخرج شيشيرون)
(يدخل كاسيوس)

كاسيوس : من هناك ؟

كاسكا : رجل من روما .

كاسيوس : صوتك صوت كاسكا .

كاسكا : لم تضلّك أذنائك . . أية ليلة هذه يا كاسيوس !

كاسيوس : ليلة يسعد بها الرجال الشرفاء .

كاسكا : من ذاك الذى شهد السماء وهى تنذر بالشر على هذا النحو ؟

كاسيوس : أولئك الذين شهدوا الأرض وقد غاصت فى الخطايا . فأما عنى فقد جُلّت فى الشوارع معرضا نفسى لأخطار الليل . وكما ترانى يا كاسكا فقد كشفت عباءتى عن صدرى حتى يستقبل الصاعقة ، وكلما بدا البرق

المشهد الثالث

شارع

رعد وبرق . يدخل كاسكا من ناحية وهو شاهر سيفه وشيشيرون من الناحية المقابلة .

شيشيرون : مساء الخير يا كاسكا . هل صحبت قيصر إلى داره ؟ مالى أراك تلهث وتحملق فيما حولك هكذا ؟

كاسكا : ألا تؤثر فيك أنت رؤية اصطخاب حركة الأرض ، وكأنها هى شىء هلامى لاتماسك فيه ؟ أه يا شيشيرون ! لقد رأيت فى حياتى عواصف قصمت رياحها العاتية أشجار البلوط ذات العُجرات ، ورأيت البحر المتشامخ يفيض ويهدر ويزبد حتى يطاول السحب المكفهرة . غير أنى لم أر حتى هذه الليلة ، حتى هذه الساعة ، عاصفة كهذه ترمينا بالنيران . فإما أن تكون ثمة حرب أهلية فى السماء ، أو تكون وقاحة أهل هذه الدنيا قد أغضبت الآلهة ، فدفعتها إلى إحداث هذا الدمار فيها .

شيشيرون : لعلك قد رأيت أشياء أغرب من مجرد هذه العاصفة ؟

كاسكا : شاهدتُ عبدا تعرفه أنت جيدا ، يرفع يده اليسرى وقد انبعث منها اللهب واشتعلت كعشرين شعلة فى حزمة واحدة ، دون أن تشعر يده بالنار ودون أن تحترق . . كذلك صادفتُ عند الكايبيتول (ومن وقتها وأنا شاهر سيفى) أسدا ظل يحملق فى بعض الوقت ، ثم مضى فى طريقه حانقا ولكن دون أن يتعرّض لى بالأذى . . ورأيت حشدا من مائة

الأزرق الغاضب على وشك أن يشق صدر السماء ، تحوّلت صوبه حتى أكون هدفا لوميضه وصاعقته .

كاسكا : ولكن ما الذى دفعك إلى إغراء السماء بك على هذا النحو ؟ فمن شأن الخلق أن يرتعدوا ويصيبهم الخوف حين ترسل الآلهة - تعالت قدرتها - علائم تنذر بفظائع الأمور فتدهشنا .

كاسيوس : إنك غبى يا كاسكا ، وأراك تفتقر إلى وهج الحياة الذى ينبغى أن يميز أبناء روما ، أو هو فيك ولكنك لا تستخدمه . . إنك شاحب اللون جاحظ العينين ، تبدو خائفا مُسلما قيادك للدهشة إذ ترى المظاهر الغريبة لنفاد صبر السماء . غير أنك إن نقّبت عن السبب الحقيقى لكل هذه النيران ، ولكل هذه الأشباح الهائمة ، ولنبوءات الشيوخ والبلهاء والأطفال ، ولانحراف كل هذه الأشياء عن مسارها فتتغيّر طبائعها وقوانينها الثابتة إلى ما هو شاذّ بشع ، فستجد أن السماء قد بثّت هذه الروح فيها حتى تصبح أداة لإثارة الخوف ، ولتحذير القوم من حدث رهيب هو لا محالة واقع . بوسعى أن أذكرك يا كاسكا اسم رجل شديد الشبه بهذه الليلة النكراء التى تشهد الرعد والبرق ، وتشقّ القبور ، وتزأّر زئير الأسد عند الكابيتول . . هو رجل ليس بأقوى منك أو منى حين يتصرّف تصرف الإنسان الطبيعى . غير أنه تغيّر ونمت قوّته نموا غريبا خفيا ينذر بفظائع الأمور كما تنذر هذه الأحداث الغريبة الخارقة .

كاسكا : إنها تعنى قيصر . أليس كذلك يا كاسيوس ؟

كاسيوس : ليكن أى امرئ شئت . . قد يكون للرومان اليوم نفس العضلات والأعضاء التى كانت لأسلافهم . غير أنهم - وأسفاه ! - قد فقدوا عزائم آبائهم ، وباتت صفات أمهاتنا وحدها تتحكّم فينا . وما استسلامنا الدليل لنير الطغيان غير دليل واضح على طبعنا النسوى .

كاسكا : هذا حق . فهم يقولون إن مجلس الشيوخ ينوى غدا أن ينصب قيصر ملكا علينا ، فيلبس تاجه في البحر واليابس في كل مكان عدا هنا في إيطاليا .

كاسيوس : عرفتُ إذن أين سأُغمد خنجرى ، وسيتولى كاسيوس تحرير كاسيوس من ربقة العبودية . فبالقدرة على الانتحار جعلت الآلهة الضعفاء أقوياء حقا ، وبالقدرة على الانتحار دحرتكم الآلهة يامعشر الطغاة . فما من برج حجرى ، ولا جدران من معدن مطروق ، ولا سجن تحت الأرض لا ينفذ الهواء إليه ، ولا الأصفاد الحديدية القوية ، بوسعها أن تُبقي الروح القوية حبيسة فيها . فالحياة إن هى تعبت من كل هذه القيود الدنيوية ، بمقدورها دائما أن تُنهى نفسها . . فإن كنتُ أعلم هذا فلتعلمه الدنيا بأسرها أيضا : أنه بإمكانى متى شئتُ أن أخلّص نفسى من الطغيان الذى أعانيه .

(مزيد من هزيم الرعد)

كاسكا : وكذلك أنا . وكذا كل عبد من العبيد ، فى يده أن يُنهى عبوديته متى شاء .

كاسيوس : فلماذا إذن يضحى قيصر طاغية مستبّدا ؟ المسكين ! أنا أعلم أنه ما كان ليصبح ذئبا إلا لأنه قد رأى الرومان قد أضحوا نعاجا . ولا هو أسد إلا لأن الرومان غزلان جبانة . ومن شاء أن يوقد نارا عظيمة فى أقصر وقت ، بدأها بعيدان واهية من القش . قد أضحت روما قمامة ، نُقايات وسقط متاع ، حين سمحت لنفسها أن تصبح وقودا زريّا لتضىء شيئا زريا كقيصر ! ولكن ، إلام تدفعنى أبها الأسى ؟ فلربما كنتُ ألقى بحديثى هذا فى سَمْع عبد راض بوضعه ، فأضطر إلى أن أدفع ثمنا لهذا الحديث وألقى جزاءه . . بيد أن الشرف سلاحى ، فلا آبه للأخطار التى تُحْدق بى .

كاسكا : إنها تحدث إلى كاسكا ، وهو ليس بالرجل المتقلب الذى يشى بأصدقائه . . كفاك إذن ، وهاك يدى فصافحها . واعلم أنك إن دبرت مؤامرة للقضاء على كل ما نعانیه من مظالم ، فسأشارك فيها مشاركة أشد المتعاطفين معها .

كاسيوس : قد اتفقنا إذن . . فلتعلم يا كاسكا أننى قد أقنعتُ بالفعل عددا من أنبل الشخصيات فى روما بالانضمام إلّى فى خطة ذات عواقب كريمة خطيرة . وأعلم أنهم الآن فى انتظارى عند مدخل مسرح بومبى . ففى مثل هذه الليلة النكراء ، ما من حركة وما من أحد يسير فى الطرقات . وصحن خذ السماء فى حمرة وجه المحموم ، شبيه بالخطة التى انتوينا تنفيذها : دموية ، ونارية ، ورهيبية للغاية .

(يدخل سيئا)

كاسكا : صه ! هذا رجل يأتى مسرعا قبلنا .

كاسيوس : إنه سيئا . أعرفه من مشيته . وهو صديق لنا . . إلى أين تمضى مسرعا هكذا يا سيئا ؟

سيئا : أبحث عنك . . من هذا معك ؟ ميتيلوس سيمبر ؟

كاسيوس : لا . إنه كاسكا . وقد انضم إلينا فيما نرى تدبيره . . هل ينتظرنى القوم يا سيئا ؟

سيئا : إننى سعيد بانضمام كاسكا . . ما أظفها من ليلة ! لقد رأى اثنان أو ثلاثة منا مشاهد غريبة حقا .

كاسيوس : خبّرنى ، هل ينتظرنى القوم ؟

سيئا : هم فى انتظارك نعم . . آه لو تمكنت يا كاسيوس من أن تضم بروتس إلى جماعتنا !

كاسيوس : لا تقلق . . خذ هذه الورقة يا عزيزى سيئا ، واحرص على أن تضعها على كرسى القاضى حيث لن يجدها غير بروتس . . ولتلق بهذه الورقة

من نافذة داره . والصق هذه بالشمع على تمثال سلفه لوسيوس بروتس . ثم توجه بعد هذا كله إلى مدخل مسرح بومبى حيث ستجدنا فى انتظارك . . هل من بين المنتظرين هناك ديسيوس بروتس وتريونيوس ؟

سيئا : كلهم عدا ميتيلوس سيمبر الذى مضى إلى منزلك يبحث عنك . . حسنا . سأسرع الآن فأضع هذه الأوراق حيث طلبت منى أن أضعها .

كاسيوس : فإن فرغت فتوجه إلى مسرح بومبى .

(يخرج سيئا)

تعال معى الآن يا كاسكا . فلا يزال علينا قبل مطلع الفجر أن نזור بروتس فى داره . . ثلاثة أرباع روحه هى فى أيدينا بالفعل . وسيكون الرجل كله فى حوزتنا عند لقائنا القادم .

كاسكا : قلوب الناس جميعا توقّره وتبجلّه . وما يستكره الناس من فعالنا سيحوّله بسحره متى انضم إلينا إلى فعال فاضلة نبيلة .

كاسيوس : قد أحسنت وصفه وبيان قدره وشدة حاجتنا إليه . . لنمضى إذن ، فقد جاوزنا منتصف الليل . وسنوقظه قبل الفجر ونتيقن من مناصرتة لنا .

الفصل الثانى

الضمير . . فإن شئنا أن نقول الصدق في وصفنا لقيصر قلّت إلى ما رأيته أبدا يتصرف إلا وفق ما يمليه عليه عقله دون مشاعره وأحاسيسه . . غير أننا كثيرا ما نلاحظ أن التواضع هو سُلّم الشاب إلى طموحاته ؛ يدير إليه وجهه أثناء تسلّقه . حتى إذا ما وصل إلى قمته أدار ظهره إلى السُلّم ، وتطلّع بعينه إلى السحاب ، محتقرا الدرجات الدنيا التي استخدمها في صعوده . . وهو ما قد يحدث لقيصر . إذن فلنمنعه من ذلك خشية أن يفعله . وحيث أن خصومتنا ليس لها حتى الآن مبرر من تصرفاته ، فلتكن حجتنا كما يلي : أنه لو تمادى في اتجاهه الراهن ، لا نتهى به الحال إلى إساءة استخدام السلطة ، وإلى مثل هذا الشطط . . فلنعتبره إذن بمثابة بيضة الأفعى : متى أفرخت خرج منها ثعبان خبيث كغيره من الثعابين ، فيكون من المصلحة إذن سحقه في بيضته قبل أن يظهر .

(يدخل لوسيوس)

لوسيوس : الشمعة موقدة في حجرة مكتبك يا مولاي . غير أنى إذ كنت أبحث عند النافذة عن حجر قدّاحة لأشعلها عثرت على هذه الورقة ، مختومة على هذا النحو . وإنى لوائق من أنها لم تكن هناك وقت أن أويثُ إلى فراشى . (يناوله الخطاب) .

بروتس : عد إلى فراشك ، فالنهار لم يبرح نوره بعد . . أليس الغد هو منتصف مارس يا غلام ؟

لوسيوس : لا أدري يا سيدى .

بروتس : راجع التقويم ثم خبّرني .

لوسيوس : سأفعل يا مولاي (يخرج)

بروتس : ضوء الشهب في الفضاء كاف لأن أقرأ عليه .

(يفتح الخطاب ويقرأ فيه)

المشهد الأول

روما - بستان دار بروتس

(يدخل بروتس)

بروتس : (ينادى) لوسيوس ! لوسيوس ! . . . ليس بوسعى أن أخنّ من مسار النجوم مدى اقتراب الساعة من مطلع الشمس . (ينادى) لوسيوس ! . . . حبّذا لو كان من عيوبى مثل هذا النوم العميق ! متى يا لوسيوس ، متى ؟ ألن تفيق من نومك ؟ لوسيوس !

(يدخل لوسيوس)

لوسيوس : هل ناديتنى يا مولاي ؟

بروتس : ضع شمعة في حجرة مكتبى . وبعد أن تشعلها تعال فنادنى هنا .

لوسيوس : سأفعل يا سيدى . (يخرج)

بروتس : لا بدّ من موته إذن من أجل إنجاح القصد . . فأما عنى فما من باعث شخصى يدفعنى إلى إسقاطه ، وإنها هو الصالح العام . . إنه يودّ لو نصبوه ملكا . والسؤال هو : إلى أى حدّ يمكن أن يؤدّى تنويجه إلى تغيير طبيعته ؟ . . إن ضوء الشمس هو الذى يُخرّج الأفعى من جحرها ، وهو ما يلزم الناس بالسير في حذر . فإن نحن توجّناه ملكا علينا أضفنا إليه أنيابا بوسعه متى شاء أن ينهشنا بها . . وإنها يكمن خطر السلطة المطلقة في احتمال أن تقيم حاجزا بينها وبين الطيبة والشفقة وتأنيب

« بروتس ! إنك إنما تغط في نومك .

أفق وتأمل نفسك .

أمن المقدر أن تكون روما . . . إلى آخره

تكلم ، واضرب ، واثار .

بروتس ! إنك تغط في نومك . . أفق ! » .

كثيرا ما ألقيت مثل هذه التحريضات في المواضع التي التقطتها منها .

« أمن المقدر أن تكون روما . . . إلى آخره »

على أن أحمّن باقى الجملة :

أمن المقدر أن تكون روما رازحة تحت حكم فرد واحد ؟ روما ؟ لقد طردَ

أجدادى « تاركوين » من شوارع روما وكان يُدعى ملكا . . . » تكلم .

واضرب ، واثار . . . أينما شدوننى أن أتكلم وأن أضرب ؟ إنى أعِدُّكَ ،

أى روما ، متى قر القرار على الثار أن يحقق لك بروتس كل ماتنشددين .

(يدخل لوسيوس)

لوسيوس : قد ولى من شهر مارس يا مولاي أربعة عشر يوما .

(صوت طرق على الباب فى الداخل)

بروتس : حسنا ! امض إلى الباب فثمة طارق يطرقه .

(يخرج لوسيوس)

لم أذق النوم مُدَّ حُرْضنى كاسيوس على قيصر . . ألا ما أشبه المدة بين

تنفيذ الفعلة الشنعاء وبين أول خاطر يخطر بشأنها بالوهم أو بالكابوس

المرعب ! عندئذ تدخل روح المرء فى جدل مع جسده الفانى ، فتضحى

حالته أشبه بمملكة صغيرة تعانى من حرب أهلية .

(يدخل لوسيوس)

لوسيوس : سيدى ، إنه أخوك كاسيوس بالباب ، يطلب لقاءك .

بروتس : أهو وحده ؟

لوسيوس : لا يا مولاي . ثمة آخرون معه .

بروتس : أتعرفهم ؟

لوسيوس : لا يا سيدى . فقد غطّوا الرؤوس حتى الآذان بقلانسهم ، ودفنوا أنصاف

وجوههم فى عباءاتهم ، فما من سبيل إلى أن أعرف هويتهم من

ملاحهم .

بروتس : دعهم يدخلون .

(يخرج لوسيوس)

هم أفراد المؤامرة . . أتخجل المؤامرة من أن تُظهر وجهها المكفهر بالليل

حين ترتع الشرور فى حرية كاملة ؟ فأين سيكون بوسعك إذن إبان النهار

أن تجدى كهفا مظلما بها فيه الكفاية تخفين فيه وجهك البشع ؟ لا تبحتى

عن كهف أيتها المؤامرة . . يكفيك أن تُخفى وجهك وراء ستار من

الابتناسات وظاهر الود . . فلو أنك خرجت إلى الطريق بصورتك

الحقيقية لما كانت الجحيم نفسها مظلمة بالدرجة الكافية لإخفائك ممن

يريدون فضح أمرك .

(يدخل المتآمرون : كاسيوس ، وكاسكا ، وديسيوس ، وسيتا ،

وميتيلوس ، وتريونيوس)

كاسيوس : أرى أننا قد تجرأنا على ساعات راحتك . . صباح الخير يا بروتس .

أفى زيارتنا إزعاج لك ؟

بروتس : لم أتم ليل فقيمت من فراشى منذ ساعة . . هل أعرف هؤلاء الرجال

القادمين معك ؟

كاسيوس : نعم . كل فرد منهم . وما من رجل بينهم إلا يبجلك . . ما من رجل إلا يريدك أن ترى نفسك كما يراك كل روماني نبيل . . . هذا تريونيوس .

بروتس : مرحبا به هنا .

كاسيوس : وهذا ديسيوس بروتس .

بروتس : مرحبا به هو أيضا .

كاسيوس : وهذا كاسكا . . وهذا سينّا . . وهذا ميتيلوس سيمبر .

بروتس : مرحبا بهم جميعا . . أية هموم تلك التي تحول بين أعينكم وبين النوم ؟

كاسيوس : أتأذن لي بكلمة في أذنك ؟ (يتهاوسان جانبا)

ديسيوس : هنا جهة الشرق . ألا تشرق الشمس من هنا ؟

كاسكا : كلا .

سينّا : عفوا يا سيدى ، بل هي تشرق من هنا . وهذه الخطوط الرمادية التي تشقّ السحب هي بشير الصباح .

كاسكا : سترين أنكما معا مغطّتان . . فهنا حيث أشير بسيفي تطلع الشمس . فنحن الآن في الربيع حين تشرق الشمس من موضع أقرب كثيرا إلى الجنوب . أما بعد نحو شهرين من الآن فإن الشمس تكون أقرب إلى جهة الشمال وقت إشراقها . وأما الشرق فهو ، كالكابيتول ، في هذه الجهة .

بروتس : مدّوا إلى أيديكم جميعا ، واحدا إثر واحد .

كاسيوس : ولنقسم أن ننقذ ما انتويناه .

بروتس : لا . لن نقسم . فإن لم يكن ما علا وجوه القوم من دلالات البؤس ، وما تشعر به نفوسنا من معاناة ، وما يسود زماننا من شرور ، بواعث غير كافية للتحرك ، فلينفّض جمعنا على الفور ، ولیمض كل منا إلى فراشه الوثير ، حتى يرتع الطغيان الصّلف في حرية كاملة ، وحتى يجرّ كل

رجل بدوره صريعا . . أما إن كانت هذه البواعث كافية ، كما أعتقد ، لإيقاد نار الغضب في قلوب الجبناء ، ولأن تملأ بالشجاعة صدور النساء الرقيقات ، فأية حاجة بنا ، أي مواطني ، إلى حافز على التحرك ، غير العزم الذي يدفعنا دفعا إلى إيجاد الحل ؟ أية رابطة أخرى ننشدها غيرما يربط جمعاً من الرومان قادرين على كتمان سرهم ، قد تعاهدوا فيما بينهم على أمر فلن ينكثوا العهد ؟ وأي قسم آخر نريده غير وعد الحرّ للحرّ أن ينفذ عزمه أو يُصرع في سبيله ؟ . . لنطالب الكهنة والجبناء وخبثاء الطوية بأداء اليمين . جيّف واهنة شمطاء ، وأنفس ذليلة ترضى بالمذلة . أو ليطالب به من تحشى خيائنه لقضية فاسدة . . أما عن خطئنا فلا تلوثوا عدلتها أو بسالة أرواحنا بظنكم أن قضيتنا أو فعلتنا في حاجة إلى قسم . . فلو أن أحدكم لم يوف بذرة واحدة من الوعد الذي قطعه على نفسه ، لشهدت كل قطرة من دمه الروماني الذي يتيه به على أن أمّه زانية .

كاسيوس : ولكن ماذا عن شيشيرون ؟ هل نفاتحه في أمرنا ؟ في ظني أنه سيكون دعامة قوية لنا .

كاسكا : لا ينبغي أن نُغفله .

سينّا : بكل تأكيد لا .

ميتيلوس : لنضمّه إلى جماعتنا . فلا شك أن شعره الأشيب سيُضفي علينا سُمعة طيبة ، ويكسب أصوات المباركين لأفعالنا . . سيقال عندئذ إن حكمته كانت تحرك سواعدنا ، وسيُخفى وقاره نزقنا وصغر سننا عن أعين القوم .

بروتس : لا تذكره ولا نفاتحه . فهو امرؤ لا ينخرط في أمرٍ بداه غيرهُ .

كاسيوس : فلنغفله إذن من حسابنا .

كاسكا : أجل ، فهو لا يصلح لهذا الأمر .

ديسيوس : ألن نقتل غير قيصر ؟

كاسيوس : أحسنت يا ديسيوس بإثارتك لهذا الموضوع . فمن رأى أنه ليس من المصلحة أن نترك ماركوس أنطونيوس حيا بعد قتلنا لقيصر ، وهو الصديق الأثير عنده ، وإلا صادفناه خصما ماكرا واسع الحيلة . فلو أنه استخدم وسائله وزاد من قوته لامتدّ خطره إلينا وأصابنا منه الشر . وواجبنا هو أن نحول بينه وبين ذلك بأن نقتل أنطونيوس وقيصر في نفس اللحظة .

بروتس : ستبدو مؤامرتنا دموية أكثر مما ينبغي يا كاسيوس ، لو أننا بعد قطعنا للرأس انهلنا على الأعضاء تمزيقا . حيثنذ سيبدو وكأننا كان الغضب باعثنا على قتل قيصر ، والحسد دافعنا إلى قتل أنطونيوس . فما أنطونيوس غير عضو من أعضاء جسد قيصر . . لنكن مُصَحِّحِينَ لا جزّارين يا كاسيوس . فما وقوف جمعنا إلا ضد روح قيصر ، وليس ثمة دماء في أرواح البشر . . آه لو أننا إذن قد استطعنا أن نواجه روح قيصر دون أن نقتل قيصر ! غير أن قيصر للأسف لا بد من أن يدفع دمه ثمننا لمطامحه . فرجائى إذن أيها الأصدقاء الكرام أن نقتله في جرأة ، ولكن دون غضب أو حقد ؛ أن نقتله وكأننا هو قربان خليق بالآلهة ، لا وكأننا هو جيفة خليقة بالكلاب . ولتسلك قلوبنا مسلك السادة الأذكياء حين يحرضون خدماهم على ارتكاب عمل من أعمال العنف ثم يتظاهرون بتوبيخهم بعد ارتكابه . . فمن شأن ذلك أن يجعل ما ننتويه يبدو ضروريا ، لا مقترنا بدافع الحسد . حتى إذا ما بدا الأمر كذلك في أعين الجماهير ، سموتنا مُطَهَّرِينَ لا مجرمين . . أما عن ماركوس أنطونيوس فلا تفكروا فيه . فما بوسعه أن يفعل أكثر مما ستفعله ذراع قيصر بعد أن يطاح برأس قيصر .

كاسيوس : ومع ذلك فإننى أتوجّس منه خيفة . ذلك أن الحب العميق الذى يكتنه لقيصر

بروتس : وأأسفاه ! أرجوك ألا تفكر فيه يا كاسيوس . فإن كان يجب قيصر فما بمقدوره أن يمس أحدا غير نفسه ، أن يتأمل الوضع ، ثم يموت لموت

قيصر . . غير أن هذا أمر مستبعد ، فهو امرؤ مشغول في المقام الأول بالألعاب والحياة الصاخبة وصحبة خلّانه العديدين .

تريبونيوس : لا خوف منه إذن . . فلنتركه حيا . . ولا شك في أنه إن عاش فسيأتى الوقت الذى يضحك فيه كلنا فكّر في أحداث هذا اليوم .

(الساعة تدق)

بروتس : صه ! كم الساعة ؟

كاسيوس : قد دقّت الثالثة .

تريبونيوس : وحن وقت الانصراف .

كاسيوس : غير أنه لا يزال ثمة شك فيما إذا كان قيصر سيخرج من داره اليوم . فقد غدا أخيرا يؤمن بالخرافات ، خلافا لاعتقاده الراسخ في الماضى بسخافة الأوهام والأحلام والقرابين والشعائر . . وربما أقنعتهُ النُّذُرُ الرهيبة والبشاعة غير المعتادة في هذه الليلة ، وكذا مناشدة العرّافين ، بالأيّبح داره اليوم إلى الكابيتول .

ديسيوس : ليطمئن بالك . فلو أنه قرر ذلك فسأقنعه بالعدول عن قراره . . إنه مغرم بسماع الحديث عن إمساك استخدام الشجر في صيد وحيد القرن ، والمرايا لصيد الدببة ، والحفريات المغطاة بفروع الشجر لصيد الأفيال ، والشباك لصيد الأسود ، والإطراء والتملّق لصيد الرجال . غير أنى حين أقول له إنه يكره المذّاحين يؤمن على قولى ، ويُسعدّه جدا هذا المديح منى ! دعونى وإياه ، فبوسعى أن ألعب بمشاعره . وسأجعله يأتى إلى الكابيتول .

كاسيوس : بل وسنكون كلنا عنده لا صطحابه إليه .

بروتس : في الساعة الثامنة . أهو الموعد الأقصى ؟

ســــــــــــينّا : ليكن الموعد الأقصى . فلا يتخلّفن أحد منا عن تلك الساعة .

ميتيلوس : إننى لأعجب كيف لم يفكر أيكم في كايوس ليجارىوس ، وهو الذى يكره قيصر منذ وبّخه على مديحه ليومبى .

بروتس : فلتمرّ إذن يا عزيزى ميتيلوس على داره . . إنه يجنبى ، وقد شرحت له أسباب خشيتنا من قيصر . فإن أرسلته إلى هنا فسأتمكن من إقناعه .

كاسيوس : ها هو الصباح يهلّ علينا . . سنترك الآن يا بروتس . . أما عنكم أيها الأصدقاء فلتفرقوا . ولكن لا تنسوا ما قلتموه ، ولتثبتوا للقوم أنكم رومان حقا .

بروتس : واحرصوا يا سادة على أن تبدوا هادئين مرحين ، فلا تفضح وجوهكم أغراضكم . . أدّوا أدواركم كما يؤدى الممثلون في المسرح الرومانى أدوارهم ، مخفين ما يختلج في الصدور ، فلا تحيدوا عن سلوككم المألوف . . والآن ، سعد صباح كل فرد منكم .

(يخرج الجميع عدا بروتس)

يا غلام ! لوسيوس ! أنائم أنت ؟ لا بأس . فلتنعم بنوم عميق في مذاق الشهد ، هبط على عينيك كالطّل . . ما من حسابات عندك تحسبها ، أو رؤى من تلك التى يثيرها القلق في عقول البشر . فما عساه إذن أن يحول بينك وبين النوم العميق ؟

(تدخل بورشا)

بورشا : بروتس . سيدى .

بروتس : بورشا ؟ ماوراءك ؟ وما استبقاظك الآن ؟ إنها تضرّين بصحتك إذ تعرّضين نفسك لبرد الصباح ورطوبته وأنت في حالتك من الضعف .

بورشا : وكذا أنت . . قد كنت قاسيا إذ تسللت يا بروتس من فراشى . . وليلة أمس ، إذ كنا نتناول العشاء ، إذا بك تنهض فجأة من مقعدك ، وتذرع الغرفة جيئة وذهابا مشغول الفكر تنهد ، وقد عقدت ذراعيك على

صدرك . وحين سألتك ما الخبر ، رمقتنى طويلا بنظرة قاسية . فلما ألححت عليك ، هرشت رأسك ثم ضربت الأرض بقدمك في نفاذ صبر . غير أنى أعدت السؤال ، فأصررت على ألا تجيب ، وشوّحت بيدك في غضب تشير إلى أن أتركك . وقد تركتك خشية أن أزيد من سخطك الذى بدا لى أشدّ عما ينبغى ، آملة مع ذلك أن يكون الأمر مجرد حالة نفسية عارضة من الحالات التى تُلمّ أحيانا بكل إنسان . . إنها لا تدعك تأكل ، أو تتكلم ، أو تنام . ولو أنها أثرت في ملاحك تأثيرها في شخصيتك لما عرفتُك . . بروتس . . سيدى العزيز ، أحطنى علما بسبب اكتئابك .

بروتس : صحتى ليست على ما يرام . وهذا هو كل ما فى الأمر .

بورشا : بروتس رجل حكيم ، ولو كانت صحته على غير ما يرام لا لتمس وسائل استعادتها .

بروتس : وهذا ما أفعله . . عزيزتى بورشا ، عودى إلى فراشك .

بورشا : هل بروتس مريض ؟ وهل يفيد صحته أن يخرج دون عباءة تحميه من رطوبة الصباح ؟ أبروتس مريض فيتسلّل من فراشه الدافئ ليعرّض نفسه لآفات الليل القارس ، وهوائه الذى لم تطهره الشمس فيضيف السعال إلى مرضه ؟ لا يا عزيزى بروتس . . ثمة أسى في نفسك يُمضّك . ومن حقى كزوجة أن أعرفه . سأركع على ركبتى مستحلفة إياك ، بحق جمالى الذى كنت تطريه يوما ما ، بحق كل ما قطعته على نفسك من عهود الحب ، وبحق العهد الأكبر الذى جمع بيننا فجعل منا شخصا واحدا ، أن تخبرنى ، أن تخبر نفسك ، أن تخبر نصفك ، بسرّ اكتئابك وقلقك ، وبهوية الرجال الذين زاروك هذه الليلة . فقد جاءك هنا ستة أو سبعة يخفون وجوههم حتى من الظلام .

بروتس : لا تركعى أى بورشا الرقيقة .

بورشا : ما كنت لأركع لو أنك بروتس الرقيق . . خبرنى يا بروتس بحق رابطة الزوجية : أطيعى ألا أحاط علما بأسرارك ؟ هل أنا أنت ، ولكن فى حدود معينة ، وباستثناءات معينة ؟ أكلُ المطلوب منى أن أجالسك أثناء تناول الوجبات ، وأن أشاركك فراشك ، وأن أحادثك أحيانا ؟ هل مكانى هو فى هامش حياتك وسعادتك ؟ إن كان الأمر لا يعدو هذا لكانت بورشا محظية بروتس لا زوجته .

بروتس : بل زوجتى الحبيبة الكريمة ، أعزها إعزازى لقطرات الدم الحمراء فى قلبى الحزين .

بورشا : لو كنت صادقا حقا لأخبرتني بهذا السر . . صحيح أنى امرأة . غير أنى المرأة التى اختارها بروتس النبيل زوجة له . صحيح أنى امرأة . غير أنى امرأة من أصل كريم وابنة كاتو^(١) . أفتحسب إذن ، وهذا زوجى وذاك أبى ، أنى امرأة فى ضعف سائر النساء ؟ خبرتنى بما تتويعه ولن أبوح به . وقد اخترت مدى قدرتى على الاحتمال ، فطعنننى نفسى طواعية هنا فى فخذى . . أفبمقدورى أن أحتمل هذا فى صبر دون أسرار زوجى ؟

بروتس : أيتها الآلهة ! اجعلينى جديرا بأن أكون زواجا لهذه المرأة النبيلة !

(صوت قرع على الباب فى الداخل)

صَه ! ثمة من يطرق الباب . ادخلى يا بورشا الآن ، وسأفضى إليك فيها بعد بمكنون قلبى . سأخبرك بكل ما شغلنى عنك وبسرّ الاكتئاب الذى يغشى ملاعى . . أسرعى بالدخول .

(تخرج بورشا)

(١) ماركوس كاتو : سياسى وخطيب اشتهر بالشجاعة والنزاهة وقوة الاحتمال . وكان بروتس ابن أخته وزوج ابنته .

لوسيوس ! من الطارق ؟

(يدخل لوسيوس وليجارىوس)

لوسيوس : رجل مريض يريد التحدث إليك .

بروتس : إنه كايوس ليجارىوس الذى تحدّث ميتيلوس عنه . . تنح جانبا يا غلام . . كيف أنت يا ليجارىوس ؟

ليجارىوس : أسمح للسانى الواهن بإلقاء تحية الصباح ؟

بروتس : أى وقت هذا الذى اخترته ، أى كايوس الباسل ، كى تلتحف بكساء المرض ! ليتك كنت سليما معافى !

ليجارىوس : لست مريضا إن كان لدى بروتس خطة مضمونها الشرف .

بروتس : لدى مثل هذه الخطة يا ليجارىوس ، لو كان بوسعك أن تصغى إليها بأذن إنسان معافى .

ليجارىوس : بحق كل الآلهة التى يركع الرومان لها ، ها أنا أطرح عن نفسى المرض . أيا روح روما وابنها الباسل ، وسليل أجدادك النبلاء ! لقد أيقظت بسحرك روحى من موات ! لتأمرنى الآن بالجرى وسأفعل المستحيل حتى أبز الآخرين أجمعين . . ما الذى علينا أن نفعله ؟

بروتس : فعلة تُشفى المريض فتحيه سليما .

ليجارىوس : ولكن ، أليس ثمة إنسانا سليما سنحيه مريضا ؟

بروتس : وهذا أيضا . . سأفضى إليك بالأمر يا عزيزى كايوس ونحن فى طريقنا ، وسأخبرك باسم الرجل الذى نستهدفه .

ليجارىوس : لثمض إذن فى طريقك ، وسأتبعك بقلب قد عادت إليه حماسه ، لأفعل ما لا علم لى به . غير أنه يكفينى أن يكون بروتس قائدى .

بروتس : اتبعنى إذن .

(يخرجان)

المشهد الثانى

دار قيصر

(رعد وبرق - يدخل قيصر فى عباءة منزلية)

قيصر : لم تهدأ السماء ولا الأرض هذه الليلة . . وقد صرخت كالبورنيا
ثلاث مرات أثناء نومها : « الغوث ، الغوث ! إنهم يقتلون قيصر ! »
من هناك ؟

(يدخل خادم)

الخادم : مولاي ؟

قيصر : لتمض فتأمر الكهنة بتقديم القرابين إلى الآلهة ، وتعود إلى برأيهم فى
احتمالات الوضع .

الخادم : سمعا وطاعة يا مولاي (يخرج)

(تدخل كالبورنيا)

كالبورنيا : ما الذى تعنيه يا قيصر ؟ أتفكر فى الخروج ؟ لن تخرج من باب
دارك اليوم .

قيصر : بل سيخرج قيصر . فالأشياء التى تهددنى لم يحدث أبدا أن تطلعت إلا
إلى ظهري . أما إن تطلعت إلى وجهي فستخفى نفسها منه .

كالبورنيا : قيصر ! إننى ما ألقيت بالآقط إلى نذر الشؤم . غير أنها الآن تخفى .
فبالإضافة إلى ما سمعناه وشهدناه ، ثمة شخص بالدار يروى أمورا رهيبة
مرعبة رآها الحرس الليلي . . هناك لبة ولدت أشبالها بالطريق ، وقبور
انشقت لتلفظ جثث الموتى ، ومخاربون شرسون أشداء خاضوا معركة
فوق السحب وقد انتظموا فى صفوف وفرق ، وكأنها هم فى حرب
حقيقية . . وقد تردّد فى الجو صخب المعركة ، وصهيل الخيل ،
وحشجة رجال يحتضرون ، بينما كانت الأشباح تصرخ وتولول فى
الطرقات . . إنها أمور لا يكاد يصدقها العقل يا قيصر ، وإنى حقا لفى
رعب منها .

قيصر : أئمة مفر من قضاء الآلهة العظام متى أرادت لأمر أن يقع ؟ سيخرج
قيصر رغم كل ما ذكرته . فهى نذر تحصى العالم بأسره لا قيصر وحده .
كالبورنيا : عند موت الخثالة لا تتساقط الشهب ، غير أن السحابت نفسها تشتعل
لتنذر بموت الملوك .

قيصر : الجبناء يموتون مرارا قبل موتهم ، أما الشجعان فلا يذوقون طعم الموت
إلا مرة واحدة . وما هناك فى ظنى ما هو أعجب وأغرب من أن يخاف
الناس الموت ، وهو النهاية المحتومة لا بد آتية .
(يدخل الخادم)

ماذا يقول العرّافون ؟

الخادم : يقولون لا تبرح دارك اليوم . فهم إذ بحثوا فى أحشاء حيوان قدموه قربانا
إلى الآلهة ، لم يعثروا له على قلب داخله .

قيصر : إنها تفعل الآلهة هذا تقريبا للجبناء . فما قيصر إلا حيوان لا قلب له .
أنه اختار المكوث اليوم فى داره رعبا . . لا . . لن يختار قيصر هذا .
فالخطر يعلم جيدا أن قيصر أخطر منه . وما اثنانا غير أسدين ولدا فى
يوم واحد . قد وُلدت قبلهما وأنا الأشد هية . وسيخرج قيصر اليوم .

كالبورنيا : وأسفى عليك يا سيدى ! قد وارت ثقتك بنفسك حكمتك . . أرجوك
ألا تخرج اليوم . . قل إن جزعى لا جزعك هو الذى يُيقك في دارك .
وسنرسل أنطونيوس إلى مجلس الشيوخ ليخبرهم أنك متوعد اليوم . وها أنا
أركع أمامك حتى تأخذ برأى هذه المرة .

قيصر : سيخبرهم مارك أنطونيوس أننى متوعد . ومن أجلك أنت سألزم الدار .

(يدخل ديسيوس)

ها هو ديسيوس بروتس . سأكلفه هو بإبلاغهم .

ديسيوس : تحية لقيصر ! ولينعم قيصر الموقر بصباح سعيد . . حضرت لاصطحابك
إلى مجلس الشيوخ .

قيصر : وكان حضورك في اللحظة المناسبة . . بلغ تحياتى شيوخ المجلس ،
وأخبرهم أنى لن أحضر اليوم . فقله أنى لا أستطيع الحضور محض
كذب . وقوله أنى لا أجرؤ على الحضور كذبة أكبر . قل لهم يا ديسيوس
إنى لن أحضر اليوم .

كالبورنيا : قل إنه مريض .

قيصر : أيكذب قيصر ؟ أم تُرائى قد حاربت وغزوت بلادا مترامية الأطراف ثم
صرت أخشى أن أقول الحق لشيوخ مستين ؟ امض يا ديسيوس فخبرهم
أن قيصر لن يحضر .

فيلبيوس : أى قيصر العظيم ، أذكر لى سببا حتى لا يضحكوا منى إن أنا نقلت
ذلك إليهم .

قيصر : السبب هو مشيئى . . لن أحضر . وفى هذا ما يكفى للإجابة على
المجلس . . أما عنك أنت ، ولأنى أحبك ، فسأخبرك . . زوجتى
كالبورنيا هنا تريدنى أن ألزم الدار . فقد رأت في منامها الليلة تمثالا لى

يقطر دما نقيا وكأنه نافورة ذات مائة صنوبر ، وقد توافد عليه الكثيرون
من الرومان الأشداء يتسمون ، ويغسلون أيديهم فيه . وهى ترى فى
كل هذا نذيرا بشور تحل بنا . ولذا فقد توسلت لى راحة أن أميك
اليوم بالبيت .

ديسيوس : لقد أسىء تأويل هذه الرؤيا . فهى رؤيا جميلة تبشر بالخير فأما عن
تمثالك والدم المنبثق من صناييره العديدة ، واغتسال الكثيرين من
الرومان المتسمين فيه ، فيعنى أن روما العظيمة ستضع منك دما مجديا
لها شبابها ، وأن رجالا عظماء سيتدافعون للحصول على أثر أو عظم أو
تذكارة عليه مسحة من هذا الدم . . هذا هو معنى الرؤيا التى
رأيتها كالبورنيا .

قيصر : وقد أحسنت أنت تأويلها .

ديسيوس : نعم . وستدرك هذا حين تسمع ما يوسعى أن أقوله وسأقوله الآن لك :
فقد قرر مجلس الشيوخ أن يتوج قيصر العظيم اليوم ملكا . فإن أنت
بعثت إليهم بمن يقول لهم إنك لن تحضر ، فقد يغيرون رأيهم وقد
يسخر منك البعض فيقول : « لنؤجل جلسة المجلس إلى موعد آخر ،
ولى أن ترى زوجة قيصر مناما أفضل ! » فإن أخفى قيصر نفسه ، أفلن
يتهامسوا فيما بينهم بأن قيصر خائف ؟ . . صفحا يا قيصر . فإن جى
العميق لك ، وتطلعى إلى أن أرى النجاح يكمل مساعيك ، ههنا ما
دفعانى إلى أن أقول ما قلته ، ورغم أنه قد لا يكون من الحكمة
مصارحتك به .

قيصر : ألا تبدو مخاوفك الآن ساذجة يا كالبورنيا ؟ إننى خجل من تجاوبى
معه . ناولينى عباءتى فإنى ذاهب .

(يدخل بروتس ، وليجارىوس ، وميتيلوس ، وكاسكا ، وتريبونىوس ، وسيتا ،
وبوبليوس)

بوبليوس : نعمت صباحا يا قيصر .

قيصر : مرحبا بك يا بوبليوس . . بروتس ؟ ما الذى أيقظك فى هذه الساعة المبكرة ؟ صباح الخير يا كاسكا . . كايوس ليجاريوس ! ما كان قيصر أبدا فى عداته لك أشد ضراوة من هذا المرض الذى أنحل جسمك ! . . كم الساعة الآن ؟

بروتس : قد دقت الثامنة يا قيصر

قيصر : إنى لشاكر لكم اهتمامكم وفضلكم .

(يدخل أنطونيو)

وها هو أنطونيو قد استيقظ مبكرا رغم سهره الطويل ليلا فى عربدته ! نعمت صباحا يا أنطونيو .

أنطونيو : ونعم صباح قيصر النبيل .

قيصر : قل لهم بالدار أن يستعدوا ، فإنى لأشعر بالحنج من انتظار القوم لى . . سينا ! ميتيلوس ! آه ! سأقضى ساعة فى الحديث إليك يا تريونيوس . تذكر أن تلفت إليك نظرى اليوم ، ولتكن بجوارى حتى أتذكر أمرك .

تريونيوس : سأكون بجوارك يا قيصر . . (جانبا) سأكون بجوارك حتى ليود أعز أصدقائك لو أنى كنت بعيدا عنك !

قيصر : تفضلوا بالدخول أيها الأصدقاء لنشرب معا بعض النبيذ ، ثم نمضى على الفور سويا كما يبدو الأصدقاء .

بروتس : (جانبا) « كما يبدو الأصدقاء » يا قيصر لا تعنى الصداقة . وإن قلب بروتس ليمزق كلما فكر فى هذا الأمر (يخرجون)

المشهد الثالث

شارع قرب الكابيتول

(يدخل أرتيميدوروس وهو يقرأ فى ورقة)

أرتيميدوروس : « قيصر ! إحذر بروتس . خذ حذرك من كاسيوس . لا تقرب كاسكا . راقب سينا . لا تأمن لتريونيوس . لاحظ جيدا ميتيلوس سيمبر . ديسيوس بروتس لا يحبك . قد أسأت إلى كايوس ليجاريوس . . كل هؤلاء قد أجمعوا على أمر . وهدفهم هو قيصر . فإن كنت غير مخلص فانظر حولك فى حذر . . إفراطك فى الثقة والشعور بالأمان يهزمه التآمر . . فلتحملك . . الآلهة .

محبك أرتيميدوروس »

سأقف هنا حتى يمر قيصر فأناوله هذا كما يفعل أصحاب المظالم . . إن قلبى يتمزق إذ أرى الفضيلة عاجزة عن النجاة من أنياب الغيرة والتنافس . . فإن قرأت يا قيصر هذه الرقعة فقد تنجو بحياتك . وإن لم تقرأها فلا بد من أن الأقدار قد تحالفت مع الخونة .

(يخرج)

بورشا : صه ! اصغ جيدا ! سمعتُ صوت أناس يهرولون وكأنها ثمة قتال .
والرياح تأتى بالصوت من صوب الكايتول .

لوسيوس : ما من صوت يا سيدتى أسمعه .

(يدخل العراف)

بورشا : تعال أيها الرجل ! من أى مكان أتيت ؟

العراف : كنت بدارى يا سيدتى .

بورشا : كم الساعة الآن ؟

العراف : حوالى التاسعة .

بورشا : أتوجه قيصر بالفعل إلى الكايتول ؟

العراف : لم يصله بعد يا سيدتى . وأنا ذاهب لأخذ مكانى فى الطريق حتى أراه
وهو يمر إلى الكايتول .

بورشا : لديك عريضة تقدّمها إلى قيصر ، أليس كذلك ؟

العراف : بلى يا سيدتى . فلوسمح قيصر بأن يكون رفيقا بقيصر ويستمع إلى ،
فسأتوسل إليه أن يهتم بنفسه .

بورشا : ولم ! هل وصل إلى علمك أن البعض ينوى إيداءه ؟

العراف : لا أعلم شيئا علم اليقين . بيد أن القلق يساورنى من أن تحدث أمور
جسيمة . . نعمت صباحا ! الشارع ضيق هنا . ولاشك فى أن الحشد
فى موكب قيصر ، من الشيوخ والقضاة وأصحاب المظالم ، ستخفق زحمته
رجلا ضعيفا مثلى . . فلأبحث عن مكان أوسع فأحدث منه إلى قيصر
العظيم أثناء مروره . (يخرج)

المشهد الرابع

أمام دار بروتس

(تدخل بورشا ولوسيوس)

بورشا : أرجوك يا غلام ، إمض عدواً إلى مجلس الشيوخ . . لا تجادلنى وأسرع !
ما وقوفك يا هذا ؟

لوسيوس : لأعرف المطلوب منى يا مولاتى .

بورشا : سيكون بوسعك أن تذهب وأن تعود قبل أن أتمكن من إخطارك بما ينبغى
أن تفعله هناك ! فلا تدرّع بالثبات والجلد ، ولاقم جبلا شاهقا بين
قلبى ولسانى ! عقلى عقل رجل ، غير أن فى ضعف النساء . وما أشق
أن تحفظ النساء السر ! . . أما زلت هنا ؟ !

لوسيوس : ولكن ما هو المطلوب منى يا سيدتى ؟ أن أمضى عدوا إلى الكايتول ثم
لاشئ غير ذلك ؟ ثم أعود إليك ولا شئ غير ذلك ؟

بورشا : بلى . تعود إلى يا غلام فتخبرنى إن كان مولائى بخير . فقد خرج اليوم من
الدار وهو مريض . . راقب جيدا ما يفعله قيصر ، وأبى الرجال يتزاحون
عليه بعراضهم . . صه ! أية جلبة أسمع ؟

لوسيوس : لا أسمع جلبة يا مولاتى .

بورشا : على أن أدخل . . واحسرتاه ! ألا ما أضعف قلب المرأة ! . . أنجحت
السء سعيك يا بروتس . (جانباً) لا بد أن يكون الغلام قد
سمعنى . . (للغلام) لدى بروتس مطلب لا يريد قيصر أن يجيبه
إليه . . أشعر بإغواء وبوهن يعترينى . . فلتسرع يا لوسيوس ، ولتنقل
تحياتى إلى مولاي . قل له إنى منشرة الخاطر ، ثم عُدْ إلى لتخبرنى بما
يقوله لك .

يخرجان

الفصل الثالث

كاسيوس : ما هذا ؟ تقدّم عرائضك في الطريق ؟ قدّمها في الكابيتول .

(يصعد قيصر السلم إلى مجلس الشيوخ ، يتبعه الباقيون)

بوبيليوس : (لكاسيوس) أتمنى لمساكنم النجاح اليوم .

كاسيوس : أىّ مسعى يا بوبيليوس ؟

بوبيليوس : إلى اللقاء .

بروتس : ما الذى يقوله بوبيليوس لنا ؟

كاسيوس : تمنى النجاح لمساكننا اليوم . . أخشى أن تكون خطتنا قد كُشفت .

بروتس : انظر ! إنه يقترب من قيصر . انظر !

كاسيوس : كاسكا ! كن على استعداد لأن تباعث قيصر ، فهم قد يحاولون إحباط خطتنا . ما العمل يا بروتس ؟ لو أنهم كانوا قد اكتشفوا أمرنا فلن يعود كاسيوس أو قيصر أبداً إلى داره . وفى نيتى أن أنتحر .

بروتس : تماسك يا كاسيوس . . بوبيليوس لنا لا يتحدث عن خطتنا . انظر ! إنه يبتسم ، وقيصر لم تتغير أساريه .

كاسيوس : قد فطن تريبونوس إلى أن دوره قد حان . أنظر يا بروتس ها هو يستدرج أنطونيو بعيداً عن مكاننا .

(يخرج أنطونيو وتريبونوس)

ديسيوس : أين ميتيلوس سيمبر ؟ قل له أن يقدم الآن إلى قيصر عريضته .

بروتس : قد تهياً لذلك . فلننضم إليه ونشاركه .

سـيـنـا : أنت أول من سيرفع يده يا كاسكا ؟

المشهد الأول

روما . شارع أمام الكابيتول

جمهرة من الناس من بينهم أرتيميدوروس والعزّاف

(يدخل قيصر ، وبروتس ، وكاسيوس ، وكاسكا ، وديسيوس ، وميتيلوس ، وتريبونوس ، وسينا ، وأنطونيو ، وليبيدوس ، وبوبيليوس ، وبوبليوس)

قيصر : (للعزّاف) قد حلّ منتصف مارس .

العزّاف : أجل يا قيصر ، غير أنه لم ينقص بعد .

أرتيميدوروس : تحية لقيصر . لتقرأ هذه الرقعة .

ديسيوس : (لقيصر) تريبونوس يتوسل إليك أن تدرس مظلمته هذه متى أتيح لك الوقت .

أرتيميدوروس : بل اقرأ رقعتى أولاً يا قيصر ، فهى تمسك شخصياً . اقرأها أى قيصر العظيم .

قيصر : ما يمسنّا شخصياً ننظر فيه آخر .

أرتيميدوروس : لا تؤجل يا قيصر وقرأها على التو .

قيصر : أجنون هذا ؟

بوبيليوس : تنح يا رجل ..

قيصر : هل نحن جميعا مستعدون ؟ والآن ، ما هى المظالم أو النقائص التى ينبغى لقيصر ومجلس شيوخه علاجها ؟

ميتيلوس : أى قيصر العظيم ! أى قيصر القوى ! أى قيصر الجبار ! ميتيلوس سيمبر على استعداد لأن يلقى أمام مقعدك بقلبه الدليل . . .

قيصر : على أن أصدك عن قصدك يا سيمبر . فكل هذا الركوع والسجود والانحناء قد يملأ نفوس الرجال العاديين بالتّيه والكبر ، ويجعلهم يغيّرون من قراراتهم ومن مجرى العدالة الصارم ، ويجعل القانون إلى مجرد قاعدة فى لعبة للأطفال يمكن خرقها فى أية لحظة . . لا تكن سفيها فحسب أن قيصر هو من التقلّب بحيث يمكن إثناؤه عن قصده العادل كما يُثنى البلهاء عن مقاصدهم ، بالكلمات المعسولة ، والركوع والانحناءات ، والتزلف الوضع كتزلف الكلاب . لقد نفى أخوك بمرسوم . فان أنت انحنيت وتضرعت وتزلفت من أجله فسأنحيك عن طريقى بركلة من قدمى كما نفعل مع الكلاب . واعلم أن قيصر لا يظلم أحدا ، وأنه لا يغيّر قرارا له دون سبب وجيه .

ميتيلوس : أمّا هنا من صوت ذى شأن أكبر من صوتى وتكون له طلاوة أكبر فى مسمع قيصر العظيم ، فينقض الحكم بنفى أخى ؟

بروتس : ها أنا أقبل يدك يا قيصر ، لا عن ملّة وإنما عن رغبة فى أن تنقض من فورك الحكم ، فتطلق سراح بوبليوس سيمبر .

قيصر : بروتس ! أنت ؟ !

كاسيوس : معذرة يا قيصر . . ساعه . ها هو كاسيوس يختر ساجدا عند قدميك متوسلا أن تعيد إلى بوبليوس سيمبر حريته .

قيصر : لو كنت مثلكم لأمكن إقناعى . ولو كان بوسعى التوسل إلى أحد لاستجبت لتوسلات الغير . غير أنى ثابت لا أترشح ، شأن النجم

القطبى الذى لا يدانيه فى ثباته كوكب آخر . . إن السباء مرصعة بمصاييح لا حصر لها ، كلها من نار ، وكلها مضىء . غير أن واحدا من بينها فحسب هو الثابت فى موضعه . وكذا فى عالمنا هذا . هو ملء بالرجال ، والرجال من دم ولحم ، كلهم ناطق يفهم . غير أنى لا أعرف سوى واحد من بينهم فحسب ، لا ترحزه عن مكانته الرفيعة دفعة أو هجوم . وأنا ذلك الرجل . وسأثبت ذلك بموقفى الآن : قد كنت ثابتا حين أرسلت سيمبر إلى منفاه ، وأبقى ثابتا بإبقائه فيه .

سيتا : أى قيصر !

قيصر : اسكت ! أبوسعك أن تترشح جبل الأوليمب ؟

ديسيوس : أى قيصر العظيم !

قيصر : ألم يركع بروتس قبلك دون جدوى ؟

كاسكا : فلتتكلم إذن يدى نيابة عنى .

(يكون كاسكا البادىء بطعن قيصر ، ثم يتبعه المتآمرون الآخرون ، ويكون ماركوس بروتس آخرهم) .

قيصر : حتى أنت يا بروتس ؟ فليمت قيصر إذن . (يموت)

سيتا : تحزنا ! تحزنا ! ومات الطاغية ! أسرعوا ! أعلنوا الخبر ! اهتفوا به فى الشوارع !

كاسيوس : فليمض بعضكم إلى منابر الشعب ليهتف : « الحرية وحق الاقتراع للكافة ! »

بروتس : أيها الناس ! أيها الشيوخ ! لا تفزعوا . لا تهربوا وابقوا فى أماكنكم . فإنها لقي الطموح جزاءه .

كاسكا : امض إلى المنبر يا بروتس .

ديسيوس : وكاسيوس أيضا .

بروتس : أين بوبليوس ؟

سينا : ها هو ذا . قد أطار تمرّدنا صوابه .

ميتيلوس : لتقف ثابتين معا خشية أن يعتزم بعض أصدقاء قيصر أن . . .

بروتس : لا تحدّثني عن الوقوف للدفاع عن أنفسنا . . وأنت يا بوبليوس لا تجزع . فما في نيتنا أن نلحق الأذى بك أو بأى روماني آخر . أخبر الناس بهذا يا بوبليوس .

كاسيوس : ولتترك جّعنا يا بوبليوس حتى لا يلحق الناس إن هم هاجمونا الأذى بك وأنت شيخ كبير .

بروتس : افعل ذلك . ولينصرف أيضا كل من لم يشترك في فعلتنا فلا يدفع ثمنها غيرنا .

(يدخل تريونيوس)

كاسكا : أين أنطونيو ؟

تريونيوس : قرّ إلى منزله جزعا . . الرجال والنساء والأطفال يميلقون ويصرخون ويعدون وكأنها هو يوم الحساب .

بروتس : سنعلم أينها الأقدار ما تحبّثه لنا . فأما عن الموت فنحن جميعا نعلم أنه لا بدّ أت . وما يصّر الناس إلا على تأجيل حينه وإضافة أيام إلى أعمارهم .

كاسكا : من قصّر من حياته بمقدار عشرين عاما قصّر بهذا المقدار جزعه من الموت .

بروتس : إن قبلنا هذا الافتراض فما الموت إلا نعمة . وبذا نكون أصدقاء لقيصر إذ قصّرنا أمد خوفه من الموت . . . لننّحن أيها الرومان فنغسل أيدينا بدم قيصر حتى المرافق ، ولنلطّخ أسيافنا به ، ثم نمض قدما إلى ساحة السوق ، فنشرع أسلحتنا الحمراء فوق رؤوسنا ونهتف جميعاً : « السلام ! الحرية ! »

كاسيوس : لننّحن إذن ونغسل أيدينا . . كم من العصور بعدنا سيعيد تمثيل هذا المنظر النبيل هنا ، في دول لم تولد بعد ، وبلغات لا تُعرف بعد ؟

بروتس : وكم من المرات سيقام دم قيصر في دور التمثيل . وهو الراقد الآن عند قاعدة تمثال بومبي ، لا فرق بينه وبين التراب .

كاسيوس : بعدد هذه المرات سيذكر الناس أفراد جماعتنا على أنهم الرجال الذين ردّوا على بلادهم حرّيتها .

ديسيوس : ألن نخرج الآن ؟

كاسيوس : بلى . لنخرجن أجمعين . بروتس في المقدمة ، وفي إثره أبسل وأطهر قلوب روما .

(يدخل خادم)

بروتس : صه ! من هذا ؟ صديق لأنطونيو .

الخادم : طلب منى سيدى أنطونيو أن أركع أمامك هكذا يا بروتس ، وأن ألقى بنفسى هكذا على الأرض ، وأن أقول عندئذ ما يلي : بروتس رجل نبيل حكيم ، شجاع أمين . وأما قيصر فكان قويا جسورا ، وعملاقا ودودا . قل إننى أحب بروتس وأوقره . قل إننى كنت أهاب قيصر وأوقره وأحبه ، فإن أذن بروتس لأنطونيو أن يأتيه آمنا ليسمع كيف استحق قيصر أن يُقتل ، فإن ماركوس أنطونيوس لن يحب قيصر ميتا مثلبا يجب بروتس حيّا ، بل وسيساند ويساعد بروتس النبيل دائما في خضمّ الوضع الجديد ومزالقه ، وبكل إخلاص . . كذا يقول مولاي أنطونيو .

بروتس : سيدك روماني حكيم باسل ، وما كان رأيي فيه غير هذا في يوم ما . قل له أن يأتي هنا إن شاء ، وسنطلعه على بواعثنا ، مقسما بشرفي أنه سينصرف آمنا .

الخادم : سأحضره لتوّي . (يخرج)

بروتس : إني واثق من أنه سيكون صديقا مخلصا لنا .

كاسيوس : ليتك على حق . أما عني فأني أخشاه أعظم الخشية ، وما خشيتُ في حياتي شيئا إلا ثبت أنه قد كان لخشيتي ما يبررها .

(يدخل أنطونيو)

بروتس : ها هو قد جاء . مرحبا بك يا أنطونيو .

أنطونيو : وا أسفا يا قيصر العظيم ! كذا على الأرض ترقد ؟ أتقلصت كل فتوحاتك وأمجادك وانتصاراتك وغنائمك في هذه المساحة الضيقة ؟ ... وداعا ! ... لا أدرى أيها السادة ما تنتنون ، وما إذا كان ثمة آخرون ينبغي أن يُفصّدوا أو قد تجاوز الحدّ حجمهم . . فإن كنتُ أحدّهم فما من ساعة تناسبني قدر ما تناسبني ساعة موت قيصر ، ولا من سلاح جدير بقتلى مثل سيوفكم التي زانها أنبل دم في هذه الدنيا . . فإن كنتم تكرهونني فأني أتوسل إليكم أن تتلوا غرضكم مني الآن وأيديكم المضرجة بالدماء ساخنة يتصاعد منها البخار . فلو أني عشت ألف عام ، لما عرفتُ لحظة أنا فيها على استعداد لأن أموت ، ولا مكانا هو أنسب لموتي ، ولا وسيلة هي أرضي لي ، من أن أموت الآن ، وهنا ، بجوار قيصر ، وبأسيافكم ، يا خيرة رجال هذا العصر وسادته .

بروتس : أنطونيو ، لا تطالبني بقتلك . قد نبذو لك الآن سفاحين قُساء القلوب بسبب منظر أيدينا وما ارتكبناه من فعلة منذ قليل . غير أنك لا ترى منا غير أيدينا ، وغير هذه الفعلة الدامية التي ارتكبتها . أما قلوبنا فلا تراها . . إنها مفعمة بالشفقة . وهذه الشفقة على روما بسبب ما لحقها من الظلم هي التي أصابت قيصر بها أصابه . . فكما تقضى النار على النار ، قد قضت الشفقة على الإحساس بالشفقة . . وأما عنك

يا أنطونيو ، فإن أسيافنا عنك كليله ، وأذرعنا لن تمتد بسوء إليك . وقلوبنا تستقبلك بكل مشاعر الود الأخوى ، والحب المخلص ، وبالإعجاب والإجلال .

كاسيوس : وستكون لصوتك فعالية صوت أيّ من الآخرين في شؤون التعيين والترقية والتكريم .

بروتس : ولكن لتصبر حتى نهدي من روع الجباهير التي أطار الخوف وعبها . عندئذ أشرح لك السبب في أني ، وأنا الذي كنت أحمل المودة لقيصر حتى في لحظة طعنى إياه ، فعلتُ ما فعلت .

أنطونيو : لا شك في حكمتك يراودني . فليمد إلى كل رجل منكم يده المملوطة بالدم . أضافحك أنت أولا يا بروتس . ثم آخذ بيدك بعده يا كاسيوس . ثم يدك يا ديسيوس . ويدك الآن يا ميتيلوس . يدك يا سينا . ثم يدك يا كاسكا الباسل . وأخيرا ، وليس آخر في مودتي ، يدك يا عزيزي تريبونوس . . واحسرتاه يا سادة ! ماذا عساي أقول ؟ لاشك في أن سمعتي عندكم قد اهتزت ، وأنكم لا بد سترونني أحد رجلين ، كلاهما سييء : إما جبان أو مُداهن . . فأما عن حبي لك ، أي قيصر ، فقد كان حبا صادقا . ولو أن روحك أطلت الآن علينا ، أفلن يحزننا أشدّ مما يحزننا موتك أن ترى صديقك أنطونيو يسالم أعداءك ويصافح أيديهم المملوطة بالدم في حضرة جثتك أي قيصر النبيل ؟ لو أني لى أعينا بعدد ما فيك من جراح لكان الأنسب أن تذرف دموعا في سرعة تدفق الدم من جراحك من أن أصادق أعداءك . . عفوا يا قيصر ! هنا واجهت أعداءك أيها الأكل الشجاع ، وهنا سقطت ، وهنا يقف صائدوك وقد لطخهم دمك . . قد كانت الدنيا بأسرها غابة يرتع فيها هذا الأيل ، وكان الأيل قلب الدنيا بأسرها . فما أشبهه الراقد هنا الآن بالأيل قد وقع صريعا بأيدي حشد من الأمراء .

كاسيوس : أنطونيو ، . . .

أنطونيو : عفواً أى كايوس كاسيوس . ما أقوله عن قيصر سيقوله عنه أعداؤه أنفسهم ، وليس إن صدر عن صديق له بكثير .

كاسيوس : لا ألوّمك على امتداحك قيصر على هذا النحو . غير أنى أتساءل : أى نوع من العلاقة معنا تتوى الدخول فيها ؟ هل نعتبرك فى عداد أصدقائنا ، أم نمضى فى سبيلنا فلا نعول عليك ؟

أنطونيو : لهذا الغرض صافحتكم . غير أن فكرى قد شرد حين وقع بصرى على جثة قيصر . . إنى صديق لكم أجمعين ، وأحبكم أجمعين ، على أمل أن تشرحوالى سرّ خطورة قيصر ، وفيم كان يتمثل هذا الخطر .

بروتس : لو لم تكن لدينا مثل هذه الأسباب لكان هذا المنظر أماناً منظر جريمة نكراء . وأسبابنا من القوة والرجاحة بحيث لو أنك كنت يا أنطونيو إينا لقيصر لا قتنعت بها .

أنطونيو : ذاك كل ما أنشدته . كذلك فإنى ألتمس الإذن منكم بأن أحمل جثته إلى ساحة السوق ، وأن أخطب من فوق المنبر فى جنازته كما يليق بالصديق .

بروتس : لك هذا يا أنطونيو .

كاسيوس : كلمة معك يا بروتس . (يتتحنى ببروتس جانبا) أنت لا تدري ما تصنع . لا تدع أنطونيو يخطب فى جنازته . ألا ترى أن الناس قد يتأثرون بها هو قائل لهم ؟

بروتس : عفواً يا كاسيوس ، فرأى هو الصواب . سأرقى المنبر قبله ، وأوضح أسباب اغتيالنا قيصر . وسأعلن أن ما سيقوله أنطونيو إن هو إلا بإذنا ورضانا ، وإننا وافقنا على أداء كافة الشعائر المعهودة والطقوس فى جنازة قيصر .

كاسيوس : لا أدري ما عساه أن يحدث . غير أنى غير راض عن ذلك .

بروتس : أنطونيو ! لتصحب جثة قيصر . . لن تتعرض لنا بلوم فى خطبتك بالجنازة ، غير أن بوسعك أن تشي فيها على قيصر كما تهوى . . قل إنك إنما تتحدث بإذنا ، وإلا فلن تكون لك يد على الإطلاق فى تدبير أمر الجنازة . وسيكون حديثك من نفس المنبر الذى أقصده الآن ، وبعد فراغى من خطبتى .

أنطونيو : فليكن . . لا أريد أكثر من هذا .

بروتس : فلتجهّز الجثة إذن ، ثم تتبعنا .

(يخرج الجميع عدا أنطونيو)

أنطونيو : صفحا يا قيصر ! واغفر لى أبها الرّميم الدامى إذ ترانى رقيقاً متهاوناً مع هؤلاء السفاحين . . إنها أشلاء أنبل رجل عاش على مرّ العصور . وويل لليد التى أراقت هذا الدم الثمين ! سأدلى الآن بنبوءة وأنا أتأمل جراحك الشبيهة بأفواه بكماء ، لكن شفاهها الحمراء كالياقوت تنفرج فتناشدنى أن يكون لسانى ناطقاً باسمها . . ستحلّ اللعنة على رؤوس الناس . وستغرق كل أنحاء إيطاليا فى خضم الصراع الوحشى بين سكانها وفى جُحّة حرب أهلية ضروس . . سيكون منظر الدماء والدمار منظراً عادياً ، والمشاهد البشعة أمراً مألوفاً بحيث تبتسم الأمهات إذ يرين أطفالهن وقد مرّتهم يد الحرب أشلاء . سيموت الإحساس بالشفقة إذ يألف الناس القسوة . . ستنتقل روح قيصر هائمة فى الأرجاء تنشد الثأر ، وإلهة الشرّ إلى جواره ، قد خرجتا لتوهما من الجحيم ، وسيهتف قيصر فى أنحاء بلادنا بصوت كصوت الملوك : الخراب والدمار ! ، ثم يُطلق كلاب الحرب من إسارها ، حتى تنتشر فى الأرض رائحة تلك الفعلية النكراء ، ورائحة الجثث العفنة التى تتأوه مناشدة الأحياء أن يدفنها .

(يدخل خادم أوكتافيوس)

أنت خادم أوكتافيوس قيصر ، أليس كذلك ؟

الفصل الثالث

الخادم : بلى يا أنطونيو .

أنطونيو : قد كُتِبَ إليه قيصرٌ أن يحضر إلى روما .

الخادم : تسلّم رسائله وهو الآن في الطريق . وقد طلب منى أن أخبرك شفاهة . . . ويلاه ! أهذا قيصر ؟ !

أنطونيو : قد تصدّع قلبك ألما . . لتنتج جانبا فتطلق العنان لبكائك . . إن الحزن لعمرى تنتقل عدواه ، فها هما عيناى وقد نظرنا إلى دموع الأسى في عينيك قد شرعنا في البكاء . . . سيدك إذن في الطريق ؟

الخادم : سيكون الليلة على مسافة عشرين ميلا من روما .

أنطونيو : عُذ إليه سريعا وخبره بما حدث . . قل له إن روما في حداد ، ومفعمة بالمخاطر ، وما من سبيل حتى الآن إلى عودة أوكتافوس آمنا إليها . . أسرع إليه وخبره بذلك . . لا . . إنتظر لحظة . لن تعود حتى نحمل هذه الجثة إلى ساحة السوق . هناك سأمتحن قدرتى على الخطابة ، وأرى بنفسى كيف تقبل الشعب فعلة هؤلاء السفّاحين . حتى إذا ما عاينت بنفسك كل هذا نقلت إلى أوكتافوس الشاب حقيقة الأوضاع . . . هلم إذن فساعدنى .

(يخرجان حاملين جثة قيصر)

المشهد الثانى

الساحة العامة

(يدخل بروتس وكاسيوس مع حشد من العامة)

العامة : لا بد من إقناعنا بالأسباب . . فاقنعونا إذن !

بروتس : اتبعونى إذن واسمعونى أيها الأصدقاء . . توجه أنت يا كاسيوس إلى الشارع الآخر واقسم الجمع قسمين . ليبق معى هنا من سيستمعون لىّ ، وليتبع كاسيوس من سيستمعون إليه . وسنوضح لكم أسباب اعتقادنا أن قتل قيصر هو من أجل الصالح العام .

العامة الأولى : سأستمع إلى بروتس .

العامة الثانى : وسأستمع إلى كاسيوس ، ثم نقارن بين ما ذكره من أسباب بعد استماعنا إلى كلّ على حدة .

(يخرج كاسيوس مع بعض العامة - يتجه بروتس إلى المنبر)

العامة الثالث : قد صعد بروتس المنبر ، فالزموا الصمت !

بروتس : اصبروا حتى أفرغ من حديثى . .

أيها الرومان ! بنى وطنى ! أصدقائى ! اسمعونى من أجل القضية التى أتبنّاها ، والزموا الصمت حتى تتمكنوا من سماعى . . صدقوا

ما أقول حتى لا تسيئوا إلى شرفي ، وأحسنوا الظن بشرفي حتى تصدقوا ما أقول . . لتصدر حكمتكم حكمها بصددي .
ولتشحذوا أذهانكم حتى لا يجانب حكمكم الصواب . فإن كان في جمعكم صديق حميم لقيصر ، فإنني أقول له إن حب بروتس لقيصر ليس بدون حبه له . فإن تساءل هذا الصديق عن سبب ثورة بروتس على قيصر ، فهذا هو جوابي : لا لأن حبي لقيصر كان واهنا وإنما لأن حبي لروما كان أقوى من حبي لقيصر . أفكنتم تفضلون أن يعيش قيصر ، وأن تموتوا جميعا عبيدا له ، على أن يموت قيصر ، وأن تعيشوا جميعا رجالا أحرارا ؟ بمقدار حب قيصر إياي أبكيه وأندبه . بمقدار نجاحاته أفرح له . . بمقدار بسالته أوقره وأحييه . . غير أنني بمقدار طموحه أشور عليه لأطيح به وأقتله . . ثمة دموع لمحبته ، وفرح لنجاحه ، وتقدير لبسالته ، وموت لطموحه . . فمن منكم هنا هو من الضعة بحيث يقبل أن يكون عبدا ؟ إن كان بينكم مثل هذا الشخص فليتكلم ، فقد أسأت إليه حقا . . من منكم هو من الدناءة بحيث يكره أن يكون رومانيا ؟ إن كان بينكم مثل هذا الشخص فليتكلم ، فقد أسأت إليه حقا . . من منكم هنا هو من الجهالة بحيث لا يجب وطنه ؟ إن كان بينكم مثل هذا الشخص فليتكلم ، فقد أسأت إليه حقا . . وها أنا أسكت في انتظار الرد .

الجميع : لا أحد يا بروتس ! لا أحد !

بروتس : لم أسئ إلى أحد إذن . وما فعلت بقيصر أكثر مما ستفعلون ببروتس . فأما عن أسباب قتله فمستجلة بالكابيتول دون غمط لمجده الذي كان جديرا به ، ودون مبالغة في ذكر خطاياہ التي استحق الموت من أجلها .

(يدخل ماركوس أنطونيوس وآخرون يحملون جثة قيصر)

ها هو جثمانه ينعيه ماركوس أنطونيوس . ورغم أنه لم يكن له ضلع في مقتله ، فسيفيد منه بأن تكون له مكانة في الدولة شأن كل فرد منكم . . وقبل أن أترككم أقول : إنني وقد قتلْتُ أعز صديق لي من أجل خير روما ، أحتفظ بنفس الحنجر لقتل ذاتي متى ارتأى وطني الخير في موتى .

الجميع : بل عِش يا بروتس ، عِش ، عِش !

العامي الأول : لنوصله إلى داره في موكب منا تكريما له .

العامي الثاني : ولنقيم تمثالا له بين تماثيل أجداده .

العامي الثالث : فليكن هو قيصر الجديد .

العامي الرابع : ولتزوج في شخصه خيرة صفات قيصر .

العامي الأول : سنوصله إلى داره بالهتاف والصياح .

بروتس : بنى وطني ، . .

العامي الثاني : صه ! صمتا ! بروتس يتكلم .

العامي الأول : سكوت ! سكوت !

بروتس : بنى وطني الأعزاء ! دعوني أنصرف من هنا وحدي ، ولتبقوا هنا مع أنطونيو إكراما لي ، لتكرّموا جثة قيصر ، وتسمعوا الخطاب عن أجداده الذي سيلقيه عليكم أنطونيو بإذنتنا ورضانا . . أتوسل إليكم ألا ينصرف من هنا أحد سواي حتى يفرغ أنطونيو من حديثه .

العامي الأول : لنمكث فنستمع إلى أنطونيو !

العامي الثالث : دعوه يصعد إلى كرسي الخطيب ، وسنستمع إليه . اصعد أي أنطونيو النبيل .

أنطونيـو : أشكركم على بقائكم الذى أوصاكم به بروتس .

(يصعد المنبر)

العامى الرابع : ما الذى قاله عن بروتس ؟

العامى الثالث : يشكرنا على بقائنا الذى أوصانا به بروتس .

العامى الرابع : خيرُ له ألا يمسّ بروتس بكلمة سوء .

العامى الأول : قيصر هذا كان طاغية .

العامى الثالث : هذا مؤكد . وقد كان من حسن حظنا أن تخلصت روما منه .

العامى الثانى : صه ! لنسمع ما يمكن لأنطونيـو قوله .

أنطونيـو : أيها الرومان الكرام ، . .

الجميع : سكوت ! دعونا نسمعه .

أنطونيـو : أيها الأصدقاء ! أيها الرومان ! بنى وطنى ! أعيرونى أسياحكم . إنما

أتيت لأدفن قيصر لا لأمدحه . فأما ما يرتكبه الناس من شرّ إبان

حياتهم فيبقى بعدهم ، وأما الخير فكثيرا ما يُدفن فى القبر معهم .

فليكن هذا شأن قيصر . . قد أخبركم بروتس النيبيل أن قيصر كان

طموحا . فإن صحّ قوله فهى نقيصة رهيبة ، قد دفع قيصر من

أجلها ثمنا رهيبا . وها أنا أتى هنا لأخطب فى جنازة قيصر ، بإذن

من بروتس ، ومن الآخرين معه . ذلك أن بروتس رجل نبيل .

وهم كذلك ، كلهم رجال نبلاء . . قد كان قيصر صديقا لى .

مخلصا وفيّا . بيد أن بروتس يقول إنه كان طموحا ، وبروتس رجل

نبيل . . قد أتى قيصر إلى روما بحشد من الأسرى الذين ملأت

فدياتهم خزائن الدولة . فهل كان فى هذا ما يدل على طموح

قيصر ؟ كان قيصر يبكى كلما تأوّه الفقراء الجوعى . ولو كان

طموحا لكان أغلظ قلبا من أن يبكى . . بيد أن بروتس يقول إنه

كان طموحا ، وبروتس رجل نبيل . . قد شهدتم جميعا يوم عيد
الخصوبة كيف عرضتُ عليه ثلاث مرات تاج الملك ، فأبى ثلاث
مرات أن يقبله . فهل كان هذا طموحا ؟ بيد أن بروتس يقول إنه
كان طموحا ، ومن المؤكد أنه رجل نبيل . . أنا لا أتحدث لأفند ما
قاله بروتس . غير أنى هنا لأتحدث عما أعرفه . . لقد أحببتموه
جميعا فى يوم ما ، وما كان حيكم ليفتقر إلى مبررات . فأتى مبرر إذن
لإحجامكم عن التحسّر عليه ؟ وأسفاه ! قد فقد الناس عقلهم
وولّت القدرة على التمييز إلى الحيوان الكاسر ! اصبروا معى .
فقلبى الآن فى التابوت هناك مع قيصر ، وعلى أن أسكت حتى
يثوب لى .

العامى الأول : فى ظنى أن أقواله فيها الكثير من الحق .

العامى الثانى : لو تأملنا الأمر جيدا لتبيّنّا أنهم قد ظلموا قيصر .

العامى الثالث : أهكذا الأمر يا إخوانى ؟ إنى لأخشى أن يُوَلّى مكانه من هو أسوأ
منه .

العامى الرابع : أَوْعَيْتَ ما قاله ؟ لقد أبى قيصر أن يقبل التاج . فمن المؤكد إذن
أنه لم يكن طموحا .

العامى الأول : لو ثبت هذا فإن البعض سيدفع غالبا ثمن فعلته .

العامى الثانى : المسكين ! عيناه فى حمرة النار من أثر البكاء .

العامى الثالث : ليس ثمة فى روما من هو أنبل من أنطونيـو .

العامى الرابع : انظروا ! إنه على وشك أن يستأنف الحديث .

أنطونيـو : بالأسف فقط ، كان بوسع كلمة من قيصر أن تقف فى وجه العالم

بأسره . وها هو الآن يرقّد هنا ، وما من رجل مهما بلغ من الفقر

مضطّر إلى أن يُخْنى هامته له . . آه يا سادة ! لو أنى كنت أسعى إلى

تحريض قلوبكم وعقولكم على التمرد والغضب ، لأدبت بروتس ،

أنطونيـو : تجبروننى إذن على قراءة الوصية ؟ فلتلثفوا إذن فى حلقة حول
جثة قيصر ، ودعونى أكتشف لكم الغطاء عن الرجل الذى كتب
الوصية . هل أنزل ؟ هل تأذنون لى ؟

الجميع : انزل !

العامى الثانى : انزل !

(يهبط أنطونيـو إليهم من المنبر)

العامى الثالث : قد أذنّا لك .

العامى الرابع : كوتوا حلقة ! التّفوا حوله .

العامى الأول : قفوا بعيدا عن التابوت ، بعيدا عن الجثة .

العامى الثانى : أفسحوا مكانا لأنطونيـو . . أنطونيـو النبيل .

أنطونيـو : أرجوكم ألا تزحونى هكذا ، وأن تبتعدوا .

الجميع : ابتعدوا . افسحوا مكانا له . تأخّروا إلى الخلف .

أنطونيـو : لو كان بأعينكم دمع فلتستعدوا لذرفه الآن . . جميعكم يعرف هذه
العباءة . إنى أذكر المرة الأولى التى لبسها قيصر فيها . كان ذلك فى
خيّمته فى إحدى أمسيات الصيف ، يوم أن قهر جيوش النّيرفى .^(١)
أنظروا ! هنا اخترق العباءة خنجرٌ كاسيوس . وانظروا المزق الذى
أحدثه هنا كاسكا الحقود . وهنا أثر طعنة بروتس الأثير لى
قيصر . وإذ انتزع بروتس سيفه اللعين بعد طعنه ، تبعه دُم قيصر
كما ترون ، وكأنها خرج ليتأكد مما إذا كان هو بروتس حقا صاحب
هذه الطعنة القاسية . فبروتس - كما تعلمون - كان حبيب قيصر .

(١) قوم من المحاربين فى شمال غرب أوروبا ، خاض الجيش الرومانى معركة عظيمة ضدهم وكاد أن
يُغلب فيها لولا بسالة قيصر الذى حول الهزيمة إلى نصر .

ولآذيت كاسيوس ، وهما كما تعلمون جميعا رجلا نبيلا . غير
أنى لن أظلمهما . إنى لأفضل أن أظلم الموتى ، وأن أظلم نفسى
وأظلمكم ، على أن أظلم مثل هذين الرجلين النبيلين . . غير أن
معنى هنا صحيفة ، عليها ختم قيصر ، قد وجدتُها فى مكتبته ، هى
وصيته . فلو أن العامة سمعت مضمون هذه الوصية التى لا أنوى
مع اعتذارى لكم - أن أقرأها ، لمضت فقبلت الجراح فى جثة
قيصر ، ولكدست مناديلها فى دمه المقدس ، أجل ، ولا لتمست
شعرة من رأسه من قبيل الذكرى ، ثم تذكرها فى وصيتها حين
يحضرها الموت ، مخلفه إياها لأبنائها باعتبارها إرثا ثميناً .

العامى الرابع : بل سنسمع الوصية . إقرأها يا أنطونيـو .

الجميع : الوصية ! الوصية ! سنسمع وصية قيصر .

أنطونيـو : صبرا أيها الأصدقاء الكرام . ليس من الصواب أن أقرأها . إذ ليس
من المناسب أن تعرفوا قدر الحب الذى كان قيصر يكنّه لكم . فما
أنتم من خشب ، ولا أنتم من حجارة . وإنما أنتم بشر ، إن
سمعتُم وصية قيصر هاجت مشاعركم ، وجن جنونكم . فمن
الخير إذن أن تبقوا جاهلين بأنه جعلكم ورثه ما يملكه . إذ ما الذى
عساه أن يحدث لو أنكم عرفتم ذلك ؟

العامى الرابع : اقرأ الوصية ! بل سنسمعها يا أنطونيـو . ستقرأ علينا الوصية .
وصية قيصر .

أنطونيـو : ألا تصبرون ؟ ألا تنتظرون لحظة ؟ لقد تماديت وجاوزت الحد إذ
أخبرتكم بأمرها . فإنى أخشى أن أسىء إلى الرجال الشرفاء الذين
طعنت خناجرهم قيصر . . نعم . أخشى ذلك .

العامى الرابع : إنهم خونة لا رجال شرفاء .

الجميع : الوصية ! الوصية !

العامى الثانى : إنهم أوغاد ، مجرمون ! الوصية ! إقرأ علينا الوصية !

والآلهة تشهد على مدى إعزاز قيصر إياه . . كانت طعنته هذه أقسى الطعنات طرا . ذلك أنه ما لمح قيصر الكريم وهو يطعنه ، حتى صرعه العقوق ونكران الجميل بأشد مما صرعه أيدي الخونة . حينئذ انظر قلبه الكبير ، فغطى وجهه بعباءته ، وعند قاعدة تمثال بومبي التي كانت تفيض طيلة الوقت بالدماء ، سقط قيصر العظيم . وأية سقطة كانت تلك يا بني وطني ! وقتها كانت أيضا سقطتي ، وسقطتكم ، وسقطتنا جميعا ، وتولت زمام أمورنا أيدي الخونة المضرجة بالدماء . . أراكم تبكون الآن ، وتستشعرون الشفقة . وإنما لدموع كريمة تلك التي تذرفونها . ولكنكم أيها الكرام إنها تبكون ولما تشاهدوا غير أثر الطعنات في عباءة قيصر . لتنظروا هنا ! فهنا قيصر نفسه وقد مزقته كما ترون أيدي الخونة .

العامى الأول : أى منظر مفجع هذا !

العامى الثانى : واحسرتاه على قيصر النبيل !

العامى الثالث : يا شؤم هذا اليوم !

العامى الرابع : آه من الخونة الأوغاد !

العامى الأول : يا له من منظر دموى !

العامى الثانى : سنثأثر لأنفسنا . الشار ! الشار ! تحركوا ، ابحثوا ، أشعلوا ، احرقوا ، اقتلوا ، إذبحوا ! لا تتركوا خائنا منهم حيا !

أنطونيوس : انتظروا أيها المواطنون !

العامى الأول : صه ! سكوت ! اسمعوا أنطونيوس الكريم .

العامى الثانى : سنسمعه ، وتتبعه ، ونموت معه !

أنطونيوس : أصدقائي الكرام ، أصدقائي الأعزاء ! لا تدعوني أثير فيكم هذا

الفيض المفاجيء من التمرد . فأولئك الذين ارتكبوا هذه الفعله رجال شرفاء ، رغم أنى ، للأسف ، لا علم لى بالأحقاد الشخصية التى دفعتهم إلى ارتكابها . . هم رجال حكماء شرفاء ، ولاشك فى أن لديهم أسبابا وردودا على تساؤلاتكم . . إننى لم أقدم هنا أيها الأصدقاء لأسرق منهم قلوبكم . فلسْتُ خطيبا فى بلاغة بروتس . وإنما أنا - كما تعرفوننى جميعا - رجل بسيط صريح ، محب لصديقه ، وهو ما يعرفه جيدا هؤلاء الذين أذنوا لى بالتحدث إليكم عنه . فأنا رجل أفترق إلى الفطنة ، وإلى الكلمات المناسبة ، وإلى الجدارة ، وإلى إتقان التمثيل ، وإلى فصاحة القول وقوة الخطابة . وليس بوسعى أن أحرك مشاعركم . وإنما أنطق بما يمر بخاطرى . وأخبركم بما تعرفونه سلفا ، وأريكم جراح قيصر الرفيق ، جراحا كالأفواه الخرساء المسكينه المسكينه ، فأدعها تتحدث نيابة عنى . . أما إن كنت مكان بروتس وكان بروتس مكان أنطونيوس ، لكان من السهل على أنطونيوس أن يستثير مشاعركم ، وأن يزود كلا من جراح قيصر بلسان ينطق عنه ، ويدفع أحجار روما ذاتها إلى التمرد والثورة .

الجميع : بل ستمرد ونثور .

العامى الأول : وسنحرق دار بروتس .

العامى الثالث : فلنمض إذن . تعالوا نفتش عن المتآمرين !

أنطونيوس : بل لتستمعوا لى أيها المواطنون . استمعوا لى .

الجميع : اسكتوا واسمعوا أنطونيوس . اسمعوا أنطونيوس الكريم .

أنطونيوس : ما هذا أيها الأصدقاء ؟ إنكم تنصرفون لتفعلوا ما لاتدرون ما هيته ، ولا تدرون ، للأسف ، كيف استحق منكم قيصر مثل هذا

الحب . فلاخبركم إذن ! لقد نسيتم أمر الوصية التى حدتكم عنها .

الجميع : صحيح . الوصية . لنمكث ونستمع إلى الوصية .

أنطونيو : ها هى ذى . عليها خاتم قيصر . قد أوصى إلى كل مواطن روماني على حدة بخمس وسبعين دراخمة .

العامى الثانى : ألا ما كان أنبلك يا قيصر ! سنتقم لموته .

العامى الثالث : ما كان أجدره بالملك !

أنطونيو : اصبروا واسمعونى .

الجميع : سكوت !

أنطونيو : وقد ترك لكم خلاف ذلك كافة حدائقه ، ودياره الريفية ، ويساتينه حديقة الغرس على هذه الضفة من نهر التَّيْبَر . تركها لكم ولورثتكم من بعدكم إلى أبد الأبد . حدائق بهيجة تنتزهون فيها وترَوِّحون عن أنفسكم . . كذا إذن كان قيصر . فمتى عسانا أن نرى مثله ؟

العامى الأول : لن نرى مثله أبدا ، أبدا . فلنمض إذن ! لنصرف ! سنحرق جثته فى المعبد المقدس ، ونحرق بالمشاعل منازل الخونة . . أحملوا جثته .

العامى الثانى : لننطلق نبحث عن المشاعل .

العامى الثالث : اكسروا المقاعد الخشبية !

العامى الرابع : وهشِّموا إطارات النوافذ ومصاريعها . . أى شئ !

(تخرج العامة بجثة قيصر)

أنطونيو : ولنر الآن أثر كلماتى فيهم ! قد هلَّ الدمار إذن ، وليمض فى سبيله إلى حيث شاء .

(يدخل خادم)

ماوراءك يا صاح ؟

الخادم : مولاي ، قد وصل أوكتافيوس إلى روما .

أنطونيو : وأين هو الآن ؟

الخادم : مع ليبيدوس فى منزل قيصر .

أنطونيو : سأمضى إليه لتؤى فأزوره . . قد وصل فى الوقت المناسب لى تماما . . إن آلهة الحظ تبسم لنا وستنعم علينا فى حالها هذا بكل ما نريد .

الخادم : سمعته يذكر أن بروتس وكاسيوس قد قرأ كمجنونين عبر أسوار روما .

أنطونيو : ربما علما بأمر العامة وكيف أثرت مشاعرها . . لتمض معى إلى أوكتافيوس .

(يخرجان)

سـيـنـا : ما اسمى ؟ وإلى أين أنا ذاهب ؟ وأين أسكن ؟ وهل أنا متزوج أم أعزب ؟ فلكى أجيب كل فرد منكم بوضوح ، وباختصار . وبحكمة ، وبصدق ، أقول بحكمة إننى أعزب .

العامى الثانى : أتقصد بهذا أن الحمقى هم الذين يتزوجون ؟ ستنال منى ضربة جزاء ما قلت . . واصل حديثك على الفور .

سـيـنـا : على الفور أذهب إلى جنازة قيصر .

العامى الأول : كصديق أم عدو ؟

سـيـنـا : كصديق .

العامى الثانى : قد أجاب على هذا السؤال بوضوح .

العامى الرابع : وأين تسكن ؟ باختصار .

سـيـنـا : باختصار ، أسكن قرب الكابيتول .

العامى الثالث : واسمك ياسيدى بصدق .

سـيـنـا : بصدق أقول إن اسمى سينّا .

العامى الأول : مزقوه إربا . هو من المتآمرين .

سـيـنـا : أنا سينّا الشاعر . . سينّا الشاعر !

العامى الرابع : اقتلوه لسخافة شعره ! اقتلوه لسخافة شعره !

سـيـنـا : لست سينّا المتآمر .

العامى الرابع : لا يهم . اسمه سينّا . انزعوا اسمه من قلبه ثم أطلقوا سراحه !

العامى الثالث : مزقوه إربا ! مزقوه ! هاتوا المشاعل ! المشاعل ! إلى بروتس ! إلى

كاسيوس ! احرقوهم جميعا ! ليمض بعضكم إلى دار ديسيوس .

والبعض إلى دار كاسكا ، والبعض إلى دار ليجارىوس . . هيا بنا !

هيا !

(تخرج العامة)

المشهد الثالث

شارع

(يدخل سينّا الشاعر)

سـيـنـا : رأيْتُ فى منامى ليلة أمس أنى أتعشى مع قيصر ، وما وقع من أحداث يُثقل مخيلتى وينذرنى بالشر . . لم تكن لدى رغبة فى الخروج من دارى ، ومع ذلك فثمة ما دفعنى إلى الخروج .

(يدخل أفراد من العامة)

العامى الأول : ما اسمك ؟

العامى الثانى : وإلى أين أنت ذاهب ؟

العامى الثالث : أين تسكن ؟

العامى الرابع : متزوج أنت أم أعزب ؟

العامى الثانى : أجب كل فرد منا بوضوح .

العامى الأول : نعم ، وباختصار .

العامى الرابع : نعم ، وبحكمة .

العامى الثالث : نعم ، وبصدق ، وإلا أصابك العطب .

الفصل الرابع

وقد قسمنا العالم إلى ثلاثة أقسام ، أن تقبله واحدا من حكاه
الثلاثة ؟

أوكتافوس : كان هذا رأيك ، ومع ذلك فقد قبلت أن يكون له صوت في تحديد
أسماء المطلوب إعدامهم ، وقت اتخاذنا قرارنا الجهم بالإدانة وتوقيع
الجزاء .

أنطونيو : أوكتافوس ، قد شهدت من الأيام أكثر مما شهدت أنت . ورغم أننا
نُصفى على هذا الرجل كل هذه المظاهر من التكريم حتى نُعفى أنفسنا
من أوزار متنوعة قد لا تجلب علينا غير لوم أعدائنا الخاقدين ، فإنه لن
يحملها إلا كما يحمل الحمار الذهب ، يثن تحت عبئه ويتصبب عرقا ،
سواء قُذناه أو دفعناه ، بينما نحدد له نحن طريقه . حتى إذا ما أوصلنا
كنزنا إلى المكان الذى نريده ، وضعنا عنه وزره ، وصرفناه صَرْفًا للحمار
بعد حطّ المتاع عنه ، فيهرّ أذنيه ، ثم يشرع فى البحث عن الحشائش
يأكلها فى الأرض المشاع .

أوكتافوس : أنت حرّ فيما تصنع . غير أنه جندى مُجَرَّب باسل .

أنطونيو : وكذا حصانى يا أوكتافوس . ولبسالته أخصص له قدرا كبيرا من
الطعام . إنه مخلوق أعلمه كيف يحارب ، وكيف يدور على أعقابهِ ،
وكيف يتوقّف ، وكيف ينطلق مباشرة إلى هدفه ، غير أن حركات
جسمه أتحكم أنا فيها بعقلى . والواقع أن لبيدوس ، فى عدة أمور ، لا
يعدو أن يكون كحصانى . . هو فى حاجة إلى التعليم ، وإلى
التدريب ، وإلى أن يُؤمر بالانطلاق . . إنسانٌ لا أفكار عنده ، يعيش
على أمل الخروج بنظريات أو تبني نظريات هجرها الناس منذ أمد
بعيد ، ووجدوها عقيمة بالية ، ويراهما هو أحدث ما وصل إليه عقل
إنسان ! فلا تتحدث عنه إلا باعتباره أداة . . . والآن يا أوكتافوس .

المشهد الأول

منزل فى روما

(يجلس أنطونيو وأوكتافوس وليبيدوس إلى منضدة)

أنطونيو : سيعدم هؤلاء الرجال إذن . وقد وضعتُ أمام أسمائهم علامة .

أوكتافوس : أخوك أيضا يجب قتله يا لبيدوس . أتوافق ؟

ليبيدوس : أوافق على . . .

أوكتافوس : ضع علامة أمام اسمه يا أنطونيو .

ليبيدوس : على شرط أن يُعدم بوبليوس ، وهو ابن أختك يا أنطونيو .

أنطونيو : لن يعيش بوبليوس . انظر ! ها أنا أدنيه بوضع العلامة . . ولكن .
توجّه يا لبيدوس إلى دار قيصر ، فأحضر الوصية هنا ، وستقرر كيف
نخفض من المصروفات باستخدامنا بعض أموالها .

ليبيدوس : أسأجلكما هنا عند عودتى ؟

أوكتافوس : هنا . . . ، أو فى الكابيتول . (يخرج لبيدوس) .

أنطونيو : إنه رجل تافه هزيل الشأن ، خليق بأداء مهمة الساعى ! أمن الصواب

الفصل الرابع

المشهد الثانى

معسكر قرب سارديس - أمام خيمة بروتس

(صوت طبل - يدخل بروتس ولوسيليوس مع بعض الجنود ،
فيقابلهم تيتينيوس وبينداروس)

بروتس : قف هناك !

لوسيليوس : قف وانطق بكلمة السر .

بروتس : أهذا أنت يا لوسيليوس ؟ أكاسيوس على مقربة منا ؟

لوسيليوس : هو قريب منا . وقد جاء بينداروس يحمل إليك تحيات سيده .

بروتس : يحمل تحياته رجلٌ فاضل . . سيّدك يابينداروس ، إما لأنه قد تغيّر ، أو
لأن بعض ضباطه أساء السلوك ، قد زوّدنى بسبب وجيه للسخط على
بعض فعاله . غير أنه ما دام سيّاتينى الآن ، فسأناقش الأمر معه
وأطلب إيضاحاً منه .

بينداروس : لا شك عندى فى أن سيدى النبيل سيبدو كما كان دائماً ، رائدُهُ الحكمة
والشرف .

استمع إلى هذه الأنباء الهامة : بروتس وكاسيوس يحشدان
الجيوش ، وعلينا أن نتقدم لتوّنا صوبهما ، وأن نجمع شتات قواتنا فى
جيش واحد . . علينا أن نضمن مساندة خيرة أصدقائنا ، وأن نبذل
قصارى جهدنا حتى نقرر سريعاً أفضل سبيل لإعلان الأخبار التى
لا يعرفها الناس بعد ، وأضمن وسيلة لمجابهة الأخطار التى تعرفها
الكافة .

أوكتافيوس : لنفعل ذلك . فإننا شأننا شأن الدبة الأسيرة المقيّدة إلى سارية ، تنبجها
كلاب مهاجمة هي أعداؤنا الكثيرون . بل إن بعض أولئك الذين
يتسمون فى وجوهنا ، يكتّون لنا الشر فى قلوبهم وما لا يُحصى من
الأحقاد .

(يخرجان)

بروتس : لا شك ، لاشك . . . أريد كلمة معك يا لوسيليوس . (جانباً)
خبرنى ، كيف كان استقباله لك .

لوسيليوس : بالأدب والاحترام الكافى ، ولكن دون مظاهر الصداقة المألوفة ، ودون الحديث الصريح الودى الذى تعودته منه فى الماضى .

بروتس : قد وصفت صديقا حميما برؤيت صداقته . . لاحظ دائما يا لوسيليوس أنه حين يفتر الحب يحل مكانه الأدب المصطنع والرسميات . فمودة الصديق الخالصة البسيطة ليست فى حاجة إلى هذه الحيل . أما ذوو الطوية الزائفة فشأنهم شأن الجياد ، إن أنت كبحت جماعها أظهرت تعطشها إلى خوص المعارك وبشرت بالإقدام والبسالة ، وإن أنت حفزتها على الركض إلى ميدان القتال نكست رؤوسها المزينة بالريش ، وصارت كالأحصنة المنهكة زرية الشأن ، لا يمكن الاعتماد عليها وقت الحاجة . . خبرنى : هل يتقدم جيشه ؟

لوسيليوس : فى نية الجيش أن يبيت هذه الليلة فى سارديس . وقد وفد الشطر الأعظم منه ومعظم الفرسان مع كاسيوس .

(صوت لحن عسكري خافت بالداخل)

بروتس : صه ! لقد وصل . . تقدم الهوينى للقائه .

(يدخل كاسيوس وقواته)

كاسيوس : قف !

بروتس : قف وانطق بكلمة السر !

الجندى الأول : قف .

الجندى الثانى : قف .

الجندى الثالث : قف .

كاسيوس : أخى الكريم ، قد أسأت لى وظلمتنى .

بروتس : بحق الآلهة ، هل أنا ظالم أعدائى حتى أظلم أخا لى ؟ !

كاسيوس : بروتس ! هدوءك هذا يخفى تحته الإساءة . وحين تكون . . .

بروتس : مهلا يا كاسيوس ، وتحدث عن شكوك بصوت خافت . إنى أعرفك جيدا . وأمام أعين جيشنا هنا لا ينبغي أن يظهر أننا للآخر غير الصداقة والود ، لا الخلاف والخصومة . . قل لهم أن يتأخروا . وفى خيمتى فلتتحدث يا كاسيوس كما تشاء عن مظالمك . وسأستمع إليها .

كاسيوس : بينداروس ! قل لقوادنا أن يتراجعوا برجاهم قليلا عن مكاننا هذا .

بروتس : ولتفعل يا لوسيليوس مثل هذا . . ولا تأذن لأى إنسان بدخول خيمتنا حتى ينتهى اجتماعنا . . قل للوسيوس وتيتينيوس أن يخرسا بابنا .

(يخرجون)

كاسيوس : العقوبة ؟ !

بروتس : تذكر مارس . تذكر منتصف مارس . ألم يُرق دم قيصر العظيم من أجل العدالة ؟ أى وغد منّا سدد طعته إلى جسده إلا من أجل العدالة ؟ أى شيء هذا ؟ أبعد قتلنا أكبر رجل في هذا العالم بأسره لحمايته للصوص ، يأتي رجل منا ، أو نأتى فنلوث أصابعنا بتناول الرشاوى الوضيعة ، ونبيع المناصب الكبيرة التى نملك أمر التعيين فيها مقابل ما نستطيع نهشه من مال حقير ؟ إنى لأفضل أن أكون كلبا غيبيا ينبع القمر على أن أكون رومانيا بهذا الخلق .

كاسيوس : لاأثر ثاقرتى يا بروتس فإنى لن أحتمل مثل هذا القول . إنك إننا تنسى نفسك إذ تحاول فرض أحكامك على . . . إنى جندى ، نعم ، أطول منك خبرة وأقدر منك على اتخاذ القرار .

بروتس : أى هراء هذا ! لست كذلك يا كاسيوس .

كاسيوس : بل أنا كذلك .

بروتس : وأنا أقول إنك لست كذلك .

كاسيوس : لا تترنى أكثر من هذا وإلا نسيت نفسى . . . احتط لنفسك ولا تترنى أكثر من هذا .

بروتس : دعنى منك أيها الإنسان النافه .

كاسيوس : أهذا يُعقل ؟

بروتس : اسمع ما أقوله لك . أنتتظر منى أن أستسلم وأذعن أمام غضبك وهياجك ؟ أن يصيبنى الجزع من نظرات مجنون يحملق ؟

المشهد الثالث

خيمة بروتس

(يدخل بروتس وكاسيوس)

كاسيوس : إساءتك إلىّ تتمثل فى الآتى : أدنت لوسيوس بيلاً وشهّرت به لتقاضيه الرشاوى من أهل سارديس ، ولم تلقِ بالاً إلى رسائل التى دافعتُ فيها عنه باعتباره صديقاً لى .

بروتس : قد أسأت إلى نفسك بكتابتك الرسائل فى هذا الشأن .

كاسيوس : فى مثل هذه الظروف التى نعيش فيها ليس من الحكمة إيقاع العقوبة الصارمة بكل مخالفة يسيرة .

بروتس : دعنى أخبرك يا كاسيوس أنك أنت نفسك متهم فى نزاهتك إذ تبيع المناصب لغير المستحقين مقابل الذهب .

كاسيوس : أنا متهم فى نزاهتى ؟ ! أنت تعلم جيداً أنك لو لم تكن بروتس لكان كلامك هذا ، بحق الآلهة ، آخر ما تتفوّ به فى حياتك .

بروتس : قد غدا اسم كاسيوس درعا يحمى وراءه هذا الفساد ، فلا يجرؤ بسببك القوم على طلب توقيع العقوبة .

كاسيوس : أنتظرين منى أيتها الآلهة أن أحتمل كل هذا ؟

بروتس : كل هذا ؟ بل وأكثر . فلتغضب حتى ينفطر قلبك المتعطر ، ولتظهر لعبيدك مدى غضبك حتى ترتعد فرائصهم . . أواجبى أن أترجع ؟ أواجبى أن أراعيك ؟ أواجبى أن أتوقف فأحنى قامتى خوفا من غضبك وثورتك ؟ لا وحق الآلهة ، بل ستتجرع أنت سموم حنقك ولو كان فيها موتك . ففى نيتى من الآن فصاعدا أن أتخذك مادة لتسليتى ، بل ولضحكى ، كلما تقوهرت بكلام كلّسع الزنبر .

كاسيوس : أوصلى الأمر إذن إلى هذا الحد ؟

بروتس : تقول إنك جندى أفضل منى . أرنى كيف . أثبت زعمك وسيسرنى ذلك . فأنا أسعد دائما بالتعلم من الرجال العظام مثلك !

كاسيوس : بكل وجه تظلمنى . . أنت تظلمنى يا بروتس . قلتُ إنى جندى أطول منك خبرة ولم أقل أفضل منك . . أقلتُ أفضل منك ؟

بروتس : لا يهمنى ما إذا كنت قلتها أم لا .

كاسيوس : لو كان قيصر حيا لما جرؤ على إغضابى مثلما تفعل أنت .

بروتس : مهلا مهلا ! ما كنت لتجرؤ على إثارته على هذا النحو .

كاسيوس : ما كنت لأجرؤ ؟

بروتس : لا .

كاسيوس : ماذا ؟! ما كنت لأجرؤ على إثارته ؟

بروتس : بحقك ما كنت لتجرؤ .

كاسيوس : لا تعتمد أكثر مما ينبغى على صداقتى لك ، فقد أفعل ما أندم عليه فيما بعد .

بروتس : قد فعلت ما يتبغى أن تندم عليه . . كاسيوس ، ليس فى تهديداتك ما يخيفنى . فثمة درع قوية من الأمانة يحمينى ، فتمّر تهديداتك بى مرّ الرياح الخاوية التى لا أبه لها . . قد بعثت إليك فى طلب مبلغ معين من الذهب ، فأبيت أن ترسله . طلبته منك لأنى على غير استعداد لجمع الأموال بوسائل خبيثة . قسا إنى لأفضل أن أسك قلبى نقودا وأن أجعل من دمنى عملات على أن أنتزع من أيدى الفلاحين الخشنة ما يملكون من مال ضئيل ، بوسائل دنيئة . . أرسلتُ إليك فى طلب الذهب لأدفع لقواتى مرتباتها ، فأبيت أن تبعث به . أكان هذا مألوفاً من كاسيوس ؟ أفكنتُ فاعلا هذا مع كاسيوس ؟ ألا لو أن ماركوس بروتس غدا شرّها إلى المال إلى هذه الدرجة فحجب أمواله القذرة عن أصدقائه ، فلتمزّيه أيتها الآلهة إربا بصواعقك .

كاسيوس : لم أرفض طلبك .

بروتس : بلى رفضته .

كاسيوس : لم أرفضه ، وإنما هو خطأ رسولك الأحق الذى أدّى إليك جوابى . . لقد مزّقت قلبى يا بروتس . . إنه لمن واجب الصديق أن يحتمل عيوب صديقه ، وبروتس يضخّم من عيوبى ويجعلها أكبر مما هى عليه .

بروتس : لا أضخّمها إلا متى رأيتك تستخدمها ضدى .

كاسيوس : أنت لا تحبنى .

بروتس : أنا لا أحب عيوبك .

كاسيوس : عين الصديق عن العيوب قليلة .

بروتس : عين المنافق هى الكليلة ولو كانت العيوب فى ضخامة جبل الأوليمب .

كاسيوس : أقدم يا أنطونيو ، وتعال يا أوكتافيوس لنثاراً لنفسيكما من كاسيوس وحده . فقد ملّ كاسيوس هذا العالم بعد أن كرهه إنسان يحبه ، وتحداه أخوه ، وقُرّع كما يُقَرّع العبيد ، ولوحظت أخطاؤه وسُجّلت في كتاب ، وتكرّر ذكرها حتى حُفظت عن ظهر قلب من أجل إلقيائها في وجهه ويلى ! يكاد قلبى لويكيت أن يتسرب في دموعى . . . هاك خنجرى ! وهاك صدرى العارى . في جوفى قلب أثمن من منجم ذهب بلوتوس^(١) . فإن كنتَ رومانياً حقاً فلتأخذه . وإن كنتَ قد أبيتُ أن أعطيك الذهب فإنى أعطيك الآن قلبى . اطعن كما طعنت قبصر . وإنى لأعلم أنك في ذروة كراحتك له كنت تحبه أكثر مما كنت تحب كاسيوس في أى زمن كان .

بروتس : أعد خنجرك إلى غمده . وأطلق لغضبك العنان وقتما شئت ، فلك حرية أن تتفوّه بما تريد قوله . واصنع ما بدا لك فلن آخذ إهاناتك على محمل الجد . . آه يا كاسيوس ! لقد قرّنتك الأقدارُ في نير واحد مع حَمَلٍ يطوى الغضب في قلبه كما يخفى حجر القداحة النار في جوفه ، حتى إذا ما قُدح مراراً أخرج شرارة سريعة ، ثم يعود لتوّه بارداً .

كاسيوس : أو قد عاش كاسيوس حتى شهد اليوم الذى أضحى فيه مثار سخرية صديقه بروتس وضحكه ، وهو الذى قد غلب عليه القلّتى وتكذّر مزاجه ؟

بروتس : حين تفوّهت بكلامى كنت أنا أيضاً كدر المزاج .

كاسيوس : أتقرّ بهذا إذن ؟ أعطنى يدك .

(١) في الأصل : بلوتو (إله العالم السفلى) . والمقصود هو بلوتوس (إله الثراء) . وكثيراً ما كان كُتاب العصر الإليزابثى يخلطون بين الإثنين .

بروتس : وقلبى معها .

كاسيوس : آه يا بروتس !

بروتس : ماذا بك ؟

كاسيوس : أما في قلبك من الحب ما يكفى لاحتمالى حين تجعلنى فورة الغضب التى ورثتها عن أمى أنسى نفسى فأسىء السلوك ؟

بروتس : بل فيه يا كاسيوس مثل هذا الحب . ومن الآن فصاعداً كلما احتددت على صديقك بروتس ، سيظن أنها والدتك التى تُقرّعننى ، ويتركك في سلام !

شاعر : (بالداخل) دعنى أدخل لأقابل القائدين . . بينهما خصومة وليس من الحكمة تركهما منفردين .

لوسيليوس : (بالداخل) لن تدخل إليهما .

الشاعر : (بالداخل) لن يمنعنى سوى الموت من الدخول .

(يدخل الشاعر ووراء لوسيليوس وتيتينيوس ولوسيوس)

كاسيوس : ما هذا ؟ ما الخبر ؟

الشاعر : عارٌ عليكما أيها القائدان ! عارٌ عليكما ! ما الذى تصنعان ؟ تفاهما ، وعودا صديقين كما ينبغى لمثليكما أن يفعلا . اسمعانى فلقد شهدتُ من السنين أكثر مما شاهدتما .

كاسيوس : ها ها ها ! أىّ شعر ردىء هذا يأتينا به هذا الفظ ؟ !

بروتس : اخرج من هنا يا وقح ! اخرج !

كاسيوس : لا تغضب منه يا بروتس فهذا طبعه .

بروتس : سأراعى طبعه حين يراعى الذوق والأدب . . ما شأن الحرب بهؤلاء
السفهاء المهترجين ؟ اخرج يا سفيه !

كاسيوس : انصرف ! انصرف !

(يخرج الشاعر)

بروتس : لوسيليوس وتيتينيوس ، خبرا القواد أن يعدّوا المأوى لفرقهم هذه الليلة .

كاسيوس : ثم عودا إلينا وأحضرا ميسّالا معكما على الفور .

(يخرج لوسيليوس وتيتينيوس)

بروتس : لوسيليوس ! أحضر وعاء من النبيذ .

(يخرج لوسيليوس)

كاسيوس : لم أعرفك قادرا على إظهار كل هذا الغضب .

بروتس : آه يا كاسيوس ! لقد تكاثرت على الأحزان حتى أثقلت كاهلى .

كاسيوس : أنت لا تلتمس من فلسفتك العون إذن إن كانت مثل هذه المضايقات
الصغيرة تخلّ من أترانك .

بروتس : ما من أحد يحتمل الأحزان مثلى . . قد ماتت بورشا .

كاسيوس : ها ! بورشا ؟

بروتس : ماتت .

كاسيوس : كيف نجوت من الموت على يدك إذن حين جرّوت على إغضابك ؟ يالها
من خسارة رهيبة لا تُحتمل ! كيف ماتت ؟

بروتس : لم تستطع صبرا على فراقى ، وأحزنها تعاضمُ قوة أوكتافيوس وأنطونيوس .

فقد جاءنى نبأ موتها مع الأخبار عن تزايد قوتها . عندئذ فقدت
صوابها ، واغتنمت فرصة غياب خدمها فابتلعت جمرات موقدة .

كاسيوس : ثم ماتت ؟

بروتس : أجل .

كاسيوس : يا إلهى !

(يدخل لوسيليوس بالنبيذ وبعض الشموع)

بروتس : لا تمض فى الحديث عنها . . ناولنى كأسا من النبيذ ، وفيها أغرق
خصومتنا يا كاسيوس . (يشرب)

كاسيوس : كان قلبى متعطشا إلى هذا العهد النبيل منك . . املا الكأس يا لوسيليوس
حتى يفيض النبيذ منه ، فما بوسعى أن أنهل الكفاية من مودة بروتس .

(يشرب - يخرج لوسيليوس ويدخل تيتينيوس وميسّالا)

بروتس : ادخل يا تيتينيوس . مرحبا بالعزیز ميسّالا ! فلنجلس حول هذه الشمعة
هنا ، ونناقش ما ينبغى علينا صنعه .

كاسيوس : أفقدناك يا بورشا ؟

بروتس : كفى ، أرجوك . . قد وصلتني هنا يا ميسّالا رسائل تُعلمنى بأن
أوكتافيوس الشاب وماركوس أنطونيوس يتقدّمان بجيش عظيم
لمهاجمتنا ، ويتجهان بسرعة صوب فيليبى .

ميسّالا : قد وصلتني أنا أيضا رسائل بهذا المعنى .

بروتس : أفيتها جديد ؟

ميسّالا : قد أعدم أوكتافيوس وأنطونيوس ولييديدوس مائة من أعضاء مجلس الشيوخ
بعد أن ضمّنوا أسماءهم قوائم المحكوم عليهم بالموت وأعداء الدولة .

بروتس : خطاباتنا تختلف حول هذه النقطة . فخطاباتي تذكر أن سبعين شيخا هم الذين أعدموا بعد أن شملتهم القوائم ، وأن شيشيرون كان من بينهم .

كاسيوس : شيشيرون من بينهم ؟ !

ميسالا : أعدم شيشيرون وفقا للحكم الوارد بالقائمة . . . أتلقيت هذه الرسائل من زوجتك يا مولاي ؟

بروتس : لا يا ميسالا .

ميسالا : ولم يكن في الرسائل ذكرٌ لها ؟

بروتس : لا يا ميسالا .

ميسالا : أمر غريب .

بروتس : لم تسأل ؟ أتذكر رسائلك شيئا عنها ؟

ميسالا : لا يا مولاي .

بروتس : بحق شرفك الروماني أصدقني القول .

ميسالا : إذن فبحق شرفك الروماني اُحتملُ صدق قولي . . إنه لمن المؤكد أنها قد ماتت . وماتت على نحو غريب .

بروتس : وداعا إذن يا بورشا . . كلنا إلى الموت يا ميسالا . لقد خَطَرُ بفكرى مرارا أنها ستموت في يوم ما ، فأضحت لدى القدرة الآن على احتمال النبأ .

ميسالا : كذا يحتمل عظماء الرجال عظام الخطوب .

كاسيوس : كنت أحسبني قادرا على الاحتمال مثلك . غير أنه يبدو أنني بحكم طبيعتي عاجز عن احتمال الرزايا كاحتمالك .

بروتس : لنعد الآن إلى مشاغل الأحياء ! ما قولك في السير لتوتنا صوب فيليبى ؟

كاسيوس : لا أظن ذلك من الحكمة .

بروتس : والسبب ؟

كاسيوس : هاك إياه : إنه لمن الأفضل أن يبحث العدو عنا ، فتفتقص مؤنه ، ويكَلّ جنوده ، ويضرّ بنفسه ، في حين نبقى نحن في مواقعنا ، فنأخذ قسطا وافرا من الراحة ، ويكون بمقدورنا التحرك بسرعة متى اضطررنا إلى الدفاع .

بروتس : أسباب قوية تُجَبِّها أسباب أقوى : فأهل هذه المنطقة ، بيننا وبين فيليبى ، يُظهرون الرضا بنا ويكتنّون العداوة ، وقد أبوا أن يزودونا بالمؤن والرجال عن طيب خاطر . فإن سار العدو فيها زاد عدده بانضمام هؤلاء إليه . وحينئذ يقدم علينا وقد طعم وامتلاّت صفوفه وشُجِع . وهو ما بوسعنا أن نحول دونه إن نحن تقدّمنا إلى فيليبى فواجهناه هناك وخلفنا هؤلاء القوم وراء ظهورنا .

كاسيوس : اسمعنى أيها الأخ الكريم . .

بروتس : عفوا يا كاسيوس . . لتعلم أيضا أننا قد حصلنا على كل ما أمكننا الحصول عليه من أصدقائنا . صفوفنا عامرة . قضيتنا يانعة . وقوة العدو تتزايد يوما بعد يوم . نحن في الأوج قد بتنا على شفا الانحدار . وثمة مدٌّ في شؤون البشر كالمدّ في البحر : فإن اغتُئمت الفرصة في عنفوانها جاءت لصاحبها بالخط السعيد . أما إن أغفِلت ، تحوّل الباقي من رحلة العمر إلى مستنقع ضحل وبؤس شديد . . ونحن الآن إنما نطفو على مثل هذا البحر الزاخر ، وعلينا أن نستغل التيار وهو في صالحنا أو يبوء مسعانا بالفشل .

كاسيوس : فلتكن مشيتك إذن . . تقدّم ، وستقدّم نحن أيضا فنقابلهم عند فيليبى .

بروتس : قد زحفت ظلمات الليل علينا أثناء حديثنا ، وتأبى الطبيعة إلا أن ندعن للضرورة فننام . غير أننا لن نأخذ غير قسط بسيط من الراحة . . أئمة ما تريد أن تضيفه ؟

كاسيوس : كلا . طابت ليلتك . نقوم مع الصباح الباكر ثم نمضى لشأننا .

(يدخل لوسيوس)

بروتس : أحضر لى عباءتى يا لوسيوس . . وداعا ياميسالا .

(يخرج لوسيوس)

طابت ليلتك يا تيتينيوس . وأنت يا كاسيوس النبيل الكريم ، طابت ليلتك وطاب رقادك .

كاسيوس : أخى العزيز . قد بدأت ليلتنا بداية مؤسفة . فلا تسمح أبدا بمثل هذه الخصومة بين روحينا . . لا تسمح بتكررها يا بروتس .

بروتس : كل شيء على ما يرام .

كاسيوس : نعمت ليلتك يا سيدى .

بروتس : نعمت ليلتك أى أخى العزيز .

تيتينيوس

طابت ليلتك يامولاي .

و

ميسالا

بروتس : وداعا أجمعين .

(يخرج كاسيوس وتيتينيوس وميسالا)

(يدخل لوسيوس وقد أحضر العباءة)

ناولنى عباءتى . أين ألتك الموسيقية ؟

لوسيوس : هنا فى الخيمة .

بروتس : ما هذا ؟ تتكلم وقد غلب عليك النعاس ؟ إننى لا ألومك أيها الغلام المسكين . لقد أنهكتك طول الحراسة . ناد كلوديوس وشخصا غيره من رجالى . وسأكلفهما بالنوم على الوسائد فى خيمتى .

لوسيوس : (ينادى) فازرو وكلوديوس .

(يدخل فازرو وكلوديوس)

فارو : أينادى مولاي ؟

بروتس : أرجوكم أيها السيدان أن ترقدا وتناما الليلة فى خيمتى . فقد يحدث أن أضطر إلى إيقافكما لأكلفكما بحمل رسالة إلى أخى كاسيوس .

فارو : إن أذن مولاي بقينا ساهرين فى انتظار أوامرك .

بروتس : لا . لا . ارقدا أيها السيدان . فقد أغير رأى ولا أبعث برسالة . . انظر يالوسيوس ! هذا هو الكتاب الذى طال بحثى عنه . . كنت قد وضعته فى جيب عباءتى !

(يرفد فارو وكلوديوس)

لوسيوس : كنت واثقا من أنك لم تعطنى إياه يا مولاي .

بروتس : احتملنى أيها الغلام الطيب ، فقد بث كثير النسيان . . أبوسعك أن تحول بعض الوقت بين جفونك الناعسة والنوم ، فتعزف على ألتك لحنا أو لحنين ؟

لوسيوس : أجل يا مولاي ، إن كان هذا يسرك .

بروتس : يسرتى يا غلام . . إنى أزعجك أكثر مما ينبغى ، غير أنك لا تعترض .

لوسيوس : هو واجبى يا مولاي .

بروتس : لا ينبغي أن أطلبك بما هو فوق طاقتك ، خاصة وأنا أدرك أن الشباب أشد حاجة منا إلى النوم .

لوسيوس : قد نمطُ بعض الوقت بالفعل يا مولاي .

بروتس : حسنا فعلت . وستنام مرة أخرى . . لن أستبقيك طويلا . ولو قُدر لي أن أعيش فسأكرمك .

(موسيقى وأغنية)

هذا لحن ناعس . . نعاس كالموت يهبط كمطرقة من الرصاص على غلامى وهو يعزف . . طابت ليلتك أيها الغلام الوديع . لن أسىء إليك فأوقظك . . لو أنك أطرقت برأسك فستنكسر الآلة . فلاخذها منك . وطابت ليلتك أيها الولد الطيب . . دعنى أرى . . دعنى أرى . . ألم تكن هناك علامة عند الصفحة التى توقفتُ عندها عن القراءة ؟ ها هى ذى فيما أظن .

(يجلس)

(يدخل شبح قيصر)

ما أضعف ضوء الشمعة ! ها ! من القادم هنا ؟ أحسبه ضعف بصرى الذى يصوّر لى هذا الشبح الغريب . . هو قادم صوبى . . أنت شىء ؟ إله أنت أم ملاك أم شيطان من الشياطين ، يبرؤ دمي ويقف شعرى لرؤيته ؟ خبرنى من أنت !

الشبح : روحك الشريرة يا بروتس .

بروتس : وما قدومك ؟

الشبح : لأنبك بأنك سترانى عند فيليبى .

بروتس : فسأراك ثانية إذن ؟

الشبح : أجل . عند فيليبى .

(يخرج الشبح)

أما وقد بدأتُ أسترده شجاعتى فقد اختفيت . كنت أودّ إطالة الحديث معك أيتها الروح الشريرة . . يا غلام ! لوسيوس ! فارو ! كلوديوس ! استيقظوا يا سادة ! كلوديوس .

لوسيوس : الأوتار يا سيدى غير مضبوطة .

بروتس : يحسب أنه لا يزال يعزف على آله ! لوسيوس ! أفق !

لوسيوس : مولاي !

بروتس : أرايت منامًا يا لوسيوس فصرخت ؟

لوسيوس : لا أعلم يا مولاي إن كنتُ قد صرخت .

بروتس : بلى قد صرخت . أرايت شيئًا ؟

لوسيوس : لاشىء يا مولاي .

بروتس : عد إلى نومك يا لوسيوس . . وأنت هناك ! كلوديس ! أيها الرجل !

فارو : مولاي ؟

كلوديوس : مولاي ؟

بروتس : ما صياحكما أيها الرجلان أثناء النوم ؟

الاثنان : أصحنا يا مولاي ؟

بروتس : أجل . أرايتما شيئًا ؟

فارو : لا يا مولاي . لم أر شيئاً .

كلوديوس : ولا أنا يا مولاي .

بروتس : فلتمضيا وتنقلا تحياتي إلى أخي كاسيوس . قولاً له أن يخرج بقواته مبكراً
قبلي ، وستبعه .

الانسان : سمعاً وطاعة يا مولاي (يخرجان)

الفصل الخامس

أنطونيو : لم تعارضنى فى مثل هذه اللحظات الحاسمة ؟
أوكتافيوس : أنا لا أعارضك . وإنما هى مشيتى أن ألزم اليمين .
(صوت لحن عسكري)

(صوت طبل - يدخل بروتس وكاسيوس بجيشهما)

بروتس : قد توقفوا يريدون التحدث معنا .
كاسيوس : احتفظ بموقعك يا تيتينيوس ، فسنخرج من الصفوف للحديث .
أوكتافيوس : هل نعطى إشارة بدء القتال يا أنطونيو ؟
أنطونيو : لا يا قيصر . وإنما نقاتلهم حين يشرون فى الهجوم . ولكن لتتقدم .
فالقادة يريدون الحديث .
أوكتافيوس : لا تتحركوا حتى نعطى الإشارة .
بروتس : تبادل الكلمات قبل تبادل الضربات ؟ أهذا ما تريدونه يا بنى وطنى ؟
أوكتافيوس : لا لأننا نفضل الكلام مثلك .

بروتس : الكلمات الجيدة خير من الضربات السيئة يا أوكتافيوس .
أنطونيو : عهدى بك يا بروتس أنك تنفوه بكلمات جيدة وقت تسديدهم لضربات سيئة ، وهو ما تشهد به الطعنة التى سددها إلى قلب قيصر صائحا : « مرخى لقيصر ! عاش قيصر ! »

كاسيوس : أنطونيو ! أما عن نوعية ضرباتك فى الحرب فلا نعرفها بعد . وأما عن كلماتك فقد عهدناها تسرق خلايا النحل فى هيبلا^(١) وتركها خالية من العسل !

(١) يقصد خطابه إلى الجمهور عقب مصرع قيصر . وهيبلا موقع فى صقلية مشهور بجودة عسله .

المشهد الأول

سهول فيليبى

(يدخل أوكتافيوس وأنطونيو وجيشهما)

أوكتافيوس : قد تحققت آمالنا إذن يا أنطونيو ! كان من رأيك أن العدو لن يهبط إلينا ، وأنه سيلزم التلال المرتفعات . غير أن هذا لم يحدث . فقد اقتربت قواته منا ، وفى نيته أن يتهددنا هنا فى فيليبى ، فيها جنا من قبل أن نضطره إلى الهجوم .

أنطونيو : لا تقلق . فأنا أدري ما يدور بخلداهم ، وأعلم سر تقدمهم هذا . لقد كان يسعدهم لو أنهم فى غير هذا المكان . غير أنهم يهبطون إلينا مظهرين البسالة ومبطين الخوف ، ظانين أننا سنخدع بمظهرهم . وهو ما لن يحدث .

(يدخل رسول)

الرسول : استعدوا أيها القادة . فالعدو يتقدم فى بسالة وعلى أكمل صورة ، وقد رفع راية القتال الحمراء ، وبدا وكأنها هو على شفا التحرش بنا .

أنطونيو : أوكتافيوس ! فلتتقدم قواتك على مهل ، والزم يسار السهل .

أوكتافيوس : سألزم يمين السهل . والزم أنت يساره .

أنطونيو : معسولة نعم ، ولكنها تلسع !

بروتس : أجل ، وتركّت النحل أيضا دون طنين ، إذ سلبته إياه يا أنطونيو ، وصرت من الحكمة بحيث تُرهب به عدوك قبل أن تلسعه .

أنطونيو : وهو ما لم تفعلوه أنتم أيها الأوغاد حين تكسّرت نصالكم الدنيئة على النصال في جوف قيصر . . أبديتم له أسنانكم وراء ابتساماتكم شأن القردة ، وتغلّتموه شأن الكلاب ، وأحنيتهم رؤوسكم أمامه شأن العبيد ، وقبلتم قدميه وقت أن كان كاسكا اللعين يستعد كالكلب من وراء ظهر قيصر كي يطعنه في عنقه . . يا لكم من منافقين !

كاسيوس : منافقون ؟ كل هذا بفضلك يا بروتس ! فما كان هذا اللسان ليؤذينا اليوم لو كنت أخذت بنصيحة كاسيوس .

أوكتافيو : كفانا جدالا وهيا إلى الحرب . فإن كان العرق يتصبّب منا من جزاء الجدل ، فإن الدم هو الذى سيتصبّب منا من جزاء حسمه .

أنطونيو : ها أنا أجزّد سيفى ضد المتآمرين . فمتى تحسبون أنه سيعود إلى غمده ؟ لن يعود إلى غمده حتى نثار لجراح قيصر الثلاثة والثلاثين ، أو حتى تسفك سيوف الخونة دم قيصر آخر .

بروتس : لن يكون بالوسع يا قيصر أن تموت بأيدي خونة ما لم تكن قد أحضرتهم معك !

أوكتافيو : وهذا ما أرجوه . فأنا لم أولد حتى يقتلنى سيف بروتس !

بروتس : لو أنك كنت أنبل أفراد عشيرتك أيها الشاب ، لما كان بمقدورك أن تموت ميتة أكثر شرفا .

كاسيوس : صبيّ مشاكس ليس أهلا لمثل هذا الشرف ، تحالف مع لاه عرييد !

أنطونيو : لا يزال كاسيوس على سالف عهدنا به !

أوكتافيو : لتصرف يا أنطونيو من هنا . . إننا نقذف في وجوهكم بتحدينا أيها الخونة . فإن كانت لديكم الجرأة على قتالنا اليوم فهيا إلى ميدان القتال ، وإلا ، فحين تساوركم الرغبة فيه .

(يخرج أوكتافيو وأنطونيو وجيشهما)

كاسيوس : فلتعصف الريح إذن ، ولتصطبّخ الأمواج فتتقاذف السفن ، فقد بدأت العاصفة وأضحى كل شيء في يد القدر .

بروتس : لوسيليوس ! تعال ! أريد كلمة معك .

لوسيليوس : مولاي ؟

(يتقدم إلى بروتس ويتها مسان جانبا معا)

كاسيوس : ميسالا !

ميسالا : (يتقدم) ما وراءك يا مولاي ؟

كاسيوس : ميسالا . اليوم عيد ميلادى ، ففى مثله وُلد كاسيوس . . ناولنى يدك

يا ميسالا ، ولتشهد على أنى ، شأن بومبى من قبل ، قد خولف رأى واضطرتت رغما عنى إلى أن أخطر بحريتنا وأعلّقها على نتيجة معركة واحدة . . . أنت تعلم أنى كنت من أتباع فلسفة أبيقور ، وأومن معه بسخافة الإيوان بالخزعبلات . غير أنى الآن قد غيّرت رأى .

وأصبحثُ إلى حدّ ما أصدّق نذر الشؤم . فأتثناء رحلتنا من سارديس هبط نسران عظيمان من الجوّ ووقفا على رايتنا الأمامية ، وظلا عليها يأكلان فى شره من أيدي جنودنا ، ثم تبعانا حتى وصلنا إلى فيليبى . وقد غادرانا هذا الصباح ووليا ، وحلت محلّهما غربان وجذّان ، تطير فوق رؤوسنا ، وتحملق فينا من عل وكأننا فريسة على شفا الموت . . لقد أظلت جيشنا بغطاء كالقدر المحتوم ، وغدا الجيش وكأنها سيُسلم الروح .

ميسالا : لا تصدق هذا .

كاسيوس : أصدقه و لا أصدقه . فمزاجى رائق وأنا على أتم استعداد لمجابهة كافة الأخطار دون خوف أو تردد .

بروتس : هو ذاك يا لوسيليوس .

كاسيوس : والآن أئى بروتس النبيل ، لتكن الآلهة كريمة اليوم معنا ، حتى إذا ما انتهت الحرب ظللنا صديقين فى زمن السلم ، وطال عمرانا حتى الشيخوخة . . ولكن ، حيث أن شؤون البشر سرّ فى يد القدر ، فلنعمل حساب أسوأ الاحتمالات . . إن نحن خسرنا هذه المعركة ، كانت هذه آخر مرة نتحدث فيها معا . فما الذى تنوى فعله فى تلك الحالة ؟

بروتس : سأطبق تعاليم الفلسفة التى أدنث على هذيا كاتو حين أزهى روحه بيده^(١) . . لا أدري كيف ، غير أنى أراه عملا جبانا شريرا أن يدفعنا الخوف مما قد يحدث إلى وقف مجرى الحياة بالانتحار . أما عنى فسأتسلح بالصبر إزاء ما تقدّره الآلهة التى تتحكّم فى أمور أهل الأرض .

كاسيوس : فأنت إذن على استعداد لأن تُقاد فى موكب نصرهم خلال شوارع روما متى خسرنا المعركة ؟

بروتس : لا ياكاسيوس . لا . لا تظنّ أبدا أيها الرومانى النبيل أن بروتس سيمضى إلى روما مكبلا بالأغلال . إن روحه لأنبل من ذلك . غير أن يومنا هذا لأبد سيشهد نهاية العمل الذى بدأته فعله منتصف مارس . فأما عن احتمال لقائنا مرة أخرى فأمرّ أجهله . فليودّع بعضنا بعضا

(١) يعنى الفلسفة الرواقية التى تسم الانتحار بالجبن . وكان كاتو قد انتحر عقب هزيمة بومبي حتى لا يقع أسيرا فى يد قيصر .

وكانه الوداع الأخير . . وداعا إذن يا كاسيوس . وداعا إلى آخر الدهر . فإن حدث والتقينا مرة أخرى فسنبتسم ، وإلا فقد كان هذا الوداع على أطيب وجه .

كاسيوس : وداعا إذن يا بروتس ، وداعا إلى آخر الدهر . فإن نحن التقينا مرة أخرى فسنبتسم بكل تأكيد ، وإلا فقد كان هذا الوداع ، كما ذكرت ، على أطيب وجه .

بروتس : فلتتقدم إذن . . آه لو كان بمقدور المرء أن يعرف سلفا ما سيسفر هذا اليوم عنه ! غير أنه يكفينا أن نعرف أن اليوم سينقضى لا محالة ، وعندئذ نعرف نتيجه . . هيا ! فلنصرف !
(يخرجون)

المشهد الثانى

ميدان القتال

(إشارة بدء القتال - يدخل بروتس وميسالا)

بروتس : أسرع يا ميسالا بجوادك ، وأعط فيالق جيشنا على الجانب الآخر هذه الأوراق .

(صوت الأبواق يرتفع)

قل لهم أن يشرعوا في الهجوم على الفور . فقد لاحظت تراخيا في جناح أوكتافيوس ، ولو هاجمناه فجأة دحرناه دحرا . . فلتسرع إذن يا ميسالا بحصانك ، وأمرهم أن يهبطوا جميعا .

(يخرجان)

المشهد الثالث

جانب آخر من ميدان القتال

(صوت أبواق - يدخل كاسيوس وتيتينيوس)

كاسيوس : انظر يا تيتينيوس ! انظر ! الأوغاد يفرون ! لقد اضطررت إلى الالتفات إلى جنودى الفارين لأقاتلهم قتال للعدو . وهذا حامل لوائى الجبان كان على وشك الهرب فقتلته وأخذت اللواء منه .

تيتينيوس : آه يا كاسيوس ! لقد تعجل بروتس بإعطائه إشارة بدء القتال ، وتحمس أكثر مما ينبغى حين لمس ضعفا فى صفوف أوكتافيوس . وقد انشعل جند بروتس بجمع الغنائم ، فانتهز أنطونيوس الفرصة وحاصرنا جميعا .

(يدخل بينداروس)

بينداروس : لتسرع بالهرب يا مولاي ! لتسرع بالهرب ! فأنطونيوس قد وصل إلى خيمتنا يا مولاي . . فلتلذذ بالفرار أى كاسيوس النبيل ، ولتمض بعيدا عن هذا المكان .

كاسيوس : يكفينى أن ألوذ بهذا التل . انظر ! انظر يا تيتينيوس ! أهذا خيمتى الذى تشتعل النيران فيه ؟

تيتينيوس : أجل يا مولاي .

كاسيوس : تيتينيوس . إن كنت تحبني فاركب حصاني وانخسه بالمهاز حتى يغيب في جسمه ، وحتى يوصلك إلى تلك القوات هناك ، ثم فلتعد إلى لتطمئننى على ما إذا كانت تلك القوات قواتنا أم قوات العدو .

تيتينيوس : سأعود إليك في مثل لمح البصر .

(يخرج)

كاسيوس : امض يا بينداروس فصعد في هذا التل . . فقد كنت دائما كليل البصر . . لا تحول ناظريك عن تيتينيوس ، وخبرنى بما تشاهده يجرى في الميدان .

(يخرج بينداروس)

تنفست الهواء لأول مرة في مثل هذا اليوم . وها قد دار الزمان دورته . فحيث بدأت ستكون نهايتى . وقد أكملت حياتى دورتها . . ما الأخبار يا صاح ؟

بينداروس : (من على) وأسفا يا مولاي !

كاسيوس : ما الخطب ؟

بينداروس : قد أحاطوا بتيتينيوس من كل جانب . وجيادهم تركض مسرعة نحوه . غير أنه يحث فرسه على الإسراع . . قد باتوا الآن قاب قوسين منه ! ماذا يا تيتينيوس ! بعضهم يترجل عن فرسه . وها هو يترجل أيضا . . لقد أسروه ! (صياح) اسمع ! إنهم يتصايحون فرحا .

كاسيوس : فلتهبط إذن . لاتشهد المزيد . ما أجبننى إذ يمتدبى العمر حتى أرى أعز صديق لى يؤسر أمام عيني .

(يهبط بينداروس إليه)

أقدم أيها الرجل ! تذكر أننى أسرُك في فارس ، واستحلفتك حين أنقذت حياتك أن تطيعنى فى كل ما أمرك به . وقد حان الآن أوان إيفائك بعهدك . ولن تكون عبدا بعد اليوم . . خذ هذا السيف المشحوذ ، واطعن به أحشاء كاسيوس وصدرة . . لاتتردد ولا تُجبننى . خذ . أمسك بمقبضه . وحين أعطى وجهى ، وقد غطيته الآن ، وجه السيف نحوى . (بينداروس يطعنه) . . . قد أخذت بئارك يا قيصر . . وبنفس السيف الذى قتلك !

(يموت)

بينداروس : قد نلتُ حررتى . ولو كان الأمر منوطا بمشيئتى ما قبلتُ ذلك . أواه يا كاسيوس ! سأولئى هاربا من هذا البلد حتى لا يرانى رومانى ما حييت !

(يخرج)

(يدخل تيتينيوس وميسالا)

ميسالا : إنه تقلب أحوال الحرب يا تيتينيوس . فقد دحرت قوات بروتس النبيل أوكتافيوس ، ودحر أنطونيوس قوات كاسيوس .

تيتينيوس : سيجد كاسيوس العزاء فى هذا الخبر .

ميسالا : أين تركته ؟

تيتينيوس : تركته عند هذا التل مع عبده بينداروس وكان اليأس قد استبد به .

ميسالا : أليس هو ذاك الراقد على الأرض ؟

تيتينيوس : ليست هذه رقدة رجل حتى . . آه ! واقلباه !

ميسالا : أليس هو كاسيوس ؟

تيتينيوس : بل كان كاسيوس يا ميسالا . أما كاسيوس فلا وجود له الآن . . إليه أيتها الشمس الغاربة : كما تلتحفين هذا المساء بأشعتك الحمراء ، كذا يلحفت يوم كاسيوس بدمه القاني . . قد غرّبت شمس روما وانقضى يومنا . فلتقدم السحب والطلل ، ولتحدق بنا المخاطر ، فقد انتهت مهامنا . وما ارتكب فعلته هذه إلا لفقدانه الثقة في إمكان نجاحي .

ميسالا : ما ارتكب فعلته هذه إلا لفقدانه الثقة في النصر . . ألا ما أبشع الخطأ وليد الاكتئاب ! إنه يُظهر لمن هو على استعداد لتصديق الوهم أمورا لا أساس لها ولا حقيقة . . الأم تحمل بالخطأ قبل الأوان ، وتكون ولادته نذير شؤم إذ يقتل الأم التي حملته .

تيتينيوس : (ينادى) بينداروس ؟ أين أنت يا بينداروس ؟

ميسالا : ابحث عنه ياتيتينيوس ريثما أمضى إلى بروتس النبيل فأطعن أذنه بهذا النبأ . أقول « أطعن » لأنى واثق من أن أذنتى بروتس تفضّلان طعن السيف الصارم والسهام المسمومة على سماع الخبر عما رأيناه .

تيتينيوس : أسرع يا ميسالا ، وسأبحث أنا عن بينداروس أثناء غيبتك .

(يخرج ميسالا)

لماذا أرسلتني أى كاسيوس الباسل ؟ لقد قابلتُ أصدقاءك الذين كلّلوا جينى بأكاليل النصر ، وطلبوا منى أن أعطيك إياها . . ألم تسمع هتافاتهم ؟ وأسفاه ! لقد أسأت فهم كل شيء . . . ولكن مهلا ! سأضع هذا الإكليل من الزهر على جبينك ، فقد طلب منى صديقك بروتس أن أعطيك إياه ، وسأفعل ما أشار به على . . بروتس ! أقدم سريعا وانظر كيف أظهر تقديري لكايوس كاسيوس . . معذرة أيتها

الآلهة ، فإننا ألّبى دعاء واجب الرومانى . وتعال يا سيف كاسيوس فابحث عن طريقك إلى قلبى .

(يقتل نفسه)

(صوت أبواق - يدخل ميسالا ومعه بروتس ، وكاتو الصغير ، وستراتو . وفولامنيوس ، ولوسيليوس ، وآخرون)

بروتس : أين يا ميسالا ، أين ؟ أين جثته ؟

ميسالا : هناك . وهذا تيتينيوس يندبه .

بروتس : وجه تيتينيوس إلى السماء .

كاتو : لقد قُتل .

بروتس : أراك يا قيصر لاتزال على جبروتك . . روحك تهيم بيننا وتحول أسيافتنا وجهة أحشائنا نحن !

(صوت أبواق من بعيد)

كاتو : انظر كيف توجّج تيتينيوس جبين جثة كاسيوس بإكليل .

بروتس : أئمة رومانيتان على قيد الحياة مثل هذين الرجلين ؟ وداعا آخر الرومان !

إنه لمن المحال أن تُنجب روما شبيها بك . . أيها الأصدقاء : إننى مدين

لهذا الرجل الصريع بدموع أغزر مما ستروننى أذرفها . . سأجد الوقت

لبكائك يا كاسيوس . . سأجد الوقت . . هيا إذن ، وابعثوا بجثته إلى

ثاسوس ، فلن تشيع جنازته في معسكرنا حتى لا توهن من عزائمتنا . .

تعال يا لوسيليوس ، وهيا يا كاتو ، فلنمض معا إلى الميدان . وامض

يا لابيوس مع فلافيوس فاطلبا من جنودنا أن يبدءوا القتال . . قد بلغت

الساعة الثالثة . وقبل أن يهبط الليل أيها الرومان ، سنجرّب حظنا مرة

أخرى في الميدان . (يخرجون)

الجندي الأول : واجبي غير هذا .. كرامُ القوم يؤخذون أسرى .

الجندي الثاني : أفسحوا المكان .. خبر أنطونيوس أن بروتس قد وقع في الأسر .

الجندي الأول : سأنقل النبأ إليه .. ها هو القائد قد وصل .

(يدخل أنطونيوس)

أسرنا بروتس ! أسرنا بروتس يا مولاي !

أنطونيوس : وأين هو ؟

لوسيليوس : هو آمن يا أنطونيوس . بروتس آمن آمن . ودعني أؤكد لك أنه ما من عدو بوسعه أن يأسر بروتس النبيل حيا . فلتحمه الآلهة من مثل هذا المصير المخزى ! فإن أنت وجدته حيا أو ميتا ، فإنها ستجده بروتس ، جديرا بنفسه .

أنطونيوس : ليس هذا ببروتس يا صديقي . غير أنني أطمئنك على أنه غنيمة لا تقل قيمة عن بروتس .. حافظوا على حياة هذا الرجل ، وأحيطوه بكل مظاهر الرعاية .. إنني لأفضل أن يكون أمثاله من أصدقائي على أن يكونوا من أعدائي .. تقدّموا فانظروا ما إذا كان بروتس في الأحياء أو الموتى ، وعودوا إلينا بالخبر عن الأوضاع في مخيم أوكتافوس .

(يخرجون)

المشهد الرابع

موضع آخر من ميدان القتال

(صوت أبواق - يدخل جنود من كلا الجيشين يقتتلون - ثم يدخل بروتس ، وكاتو الصغير ، ولوسيليوس ، وآخرون)

بروتس : واصلوا القتال يا بني وطني ! واصلوا القتال وارفعوا عاليًا رءوسكم !
كاتو : لن يُلقى بسيفه غير ابن زنا ! من يتقدم معي ؟ سأعلن اسمي في أرجاء الميدان .. أنا ابن ماركوس كاتو ، عدو الطغاة وصديق بلادي ! أنا ابن ماركوس كاتو أيها الناس !

(يدخل جنود يتقابلون)

بروتس : وأنا بروتس .. ماركوس بروتس .. بروتس صديق بلادي .. هاكم بروتس !

(يخرج)

لوسيليوس : أقتلوك أي كاتو الشاب ؟ أي كاتو النبيل ؟ إنك لتموت ميتة تيتينيوس الباسل . ولأنت يا ابن كاتو جدير بآيات التبجيل .

الجندي الأول : سلّم نفسك وإلا قُلت .

لوسيليوس : أستسلم شرط أن تقتلني . وستغنم الكثير من جزاء قتلك إيتاي على الفور . فأنت إنما تقتل بروتس ، وسيكون في هذا شرف عظيم لك .

كليتوس : أئى طلب شنيع طلبه بروتس منك ؟

داردانيوس : أن أقتله يا كليتوس . . انظر . إنه غارق فى التأمل .

كليتوس : قد فاضت الأحزان من هذا الإناء الكريم حتى نزلت من عينيه .

بروتس : أقبل يا عزيزى فولامنيوس ، واسمع كلمة منى .

فولامنيوس : أمر مولاي ؟

بروتس : هاكّه يا فولامنيوس : لقد ظهر لى شبح قيصر مرتين بالليل ، الأولى فى

سارديس ، والأخرى ليلة البارحة هنا فى سهول فيليبى ، فعرفت أن أجلى قد دنا .

فولامنيوس : كلا يا مولاي .

بروتس : بل أنا واثق من ذلك يا فولامنيوس . . أنت ترى الدنيا يا فولامنيوس

وترى مجرى أمورها . . قد طاردنا أعداؤنا حتى شفا هوة الموت .

(صوت أبواق يأتى من بعيد)

وأجدر بنا أن نفكر نحن إلى الهوة من أن ننتظر حتى يلقونا هم فيها . .

أى فولامنيوس العزيز ، تعلم أننا كنا سويا فى المدرسة . فبحق

مودتنا القديمة إذن ، أناشدك أن تمسك بقائمة سيفى حتى ألقى

بجسدى عليه .

فولامنيوس : ليست هذه مهمة الصديق يا مولاي .

(صوت الأبواق يتردد)

كليتوس : النجّا النجّا يا مولاي ! لا يتخلفن أحد هنا .

بروتس : وداعا لك ، ولك ، ولك يا فولامنيوس . . ستراتو ! قد كنت نائما طلبة

الوقت . وداعا لك أيضا يا ستراتو . . أى مواطنى ، إن قلبى لتغمره

السعادة إذ أرى أننى ما صادفت فى حياتى امرأة إلا كان وفيا لى .

سيكون مجدى من جزاء هذه الهزيمة اليوم أعظم من المجد الذى سيجنيه

أوكتافيوس وأنطونيوس من نصرهما المزرى . فوداعا إذن ولنفترق على

المشهد الخامس

موقع آخر من ميدان القتال

(يدخل بروتس ، وداردانيوس ، وكليتوس ، وستراتو ، وفولامنيوس)

بروتس : تعالئ أيتها الزمرة المسكينة الباقية من الأصدقاء ، ولنسترح فوق هذه الصخرة .

كليتوس : لقد رفع ستاتيليوس مشعلا موقدا لإعلامنا بالنصر . غير أنه لم يعد إلينا يا مولاي . فإما أن يكون قد أسر أو قُتل .

بروتس : اجلس يا كليتوس . . القتل هو الأرجح مُدْ غدا شائعا بيننا . . اسمعنى يا كليتوس . (يهمس فى أذنه) .

كليتوس : ماذا ؟ أنا يا مولاي ؟ ! لو مُلكت الدنيا بأسرها ما فعلت .

بروتس : فلتسكت إذن ولا تنبس بكلمة .

كليتوس : قُتل نفسى أحبُّ إلى مما تدعونى إليه .

بروتس : اسمعنى يا داردانيوس (يهمس فى أذنه)

داردانيوس : أرتكبُ هذه الفعلة ؟ !

كليتوس : أوّاه يا داردانيوس !

داردانيوس : آه يا كليتوس !

الفور ، فقد كاد لسان بروتس أن ينهي قصة حياته . . . الليل يُثقل جفنيّ ، وعظامي تتوق إلى الراحة وهي التي ما جاهدت إلا لتبلغ هذه الساعة .

(صوت أبواق وصيحات : النجا ! النجا ! النجا !)

كليتوس : لتسرع يا مولاي بالفرار !

بروتس : إذهبوا أنتم ، وسأتبعكم .

(يخرج كليتوس وداردانيوس وفولانيوس)

أناشدك يا ستراتو أن تبقى مع مولاك . . إنك امرؤ طيب السمعة ، وكان لحياتك مذاق الشرف . . أمسك إذن بقائمة سيفي ، وأدِر وجهك إلى الخلف ريثما ألقى بنفسي عليه . أتقبل يا ستراتو ؟

ستراتو : أعطني يدك أولاً . . وداعا يا مولاي

بروتس : وداعا يا عزيزي ستراتو . (يلقي بنفسه على سيفه) فلتهدأ الآن يا قيصر . ما كان قتل إياك بأرضي لي من قتل لنفسي .

(يموت)

(صوت بوق يدعو الجنود إلى العودة - يدخل أوكتافيوس ، وأنطونيو ، وميسالا

ولوسيليوس ، والجيش)

أوكتافيوس : خادم من هذا ؟

ميسالا : خادم مولاي بروتس . . ستراتو ، أين سيدك ؟

ستراتو : قد تحرّرت من العبودية التي وقعت فيها يا ميسالا . وليس بوسع الظافرين إلا أن يحرقوه . فما فُهرَ بروتس غير بروتس نفسه ، وما لإنسان غيره أن يدعى لنفسه شرف قتله .

لوسيليوس : كذا النهاية الجديرة ببروتس . وشكرا لك يا بروتس إذ برهنت على صدق نبوءتي ^(١) .

أوكتافيوس : كل من خَدَم بروتس سيُلحق بخدمتي وسأحسن إليه . . أتقبل أيها الشاب أن تقضى أيامك معي ؟

ستراتو : أجل ، شرط أن يوصيك ميسالا بي .

أوكتافيوس : أوصني به يا ميسالا .

ميسالا : كيف مات سيدك يا ستراتو ؟

ستراتو : أمسكتُ بسيفه فألقى بنفسه عليه .

ميسالا : فلتُلقه إذن يا أوكتافيوس بخدمتك ، فهو الذي أدّى لمولاي هذه الخدمة الأخيرة .

أنطونيو : قد كان هذا الرجل أنبل الرومان طرّاً . . كل المتآمرين عداه فعلوا ما فعلوه بقيصر العظيم عن حسدٍ له . أما هو فما انضم إليهم إلا عن رغبة مخلصه في خدمة روما وأهلها . . كان النبيل سمة حياته ، وما صورته الطبيعية على هذا النحو إلا لكي تهتف بالعالم بأسره : « هاكم مثال الإنسان النبيل ! »

أوكتافيوس : لنعامله إذن بما هو أهل له من الاحترام ، ولتكن طقوس جنازته خليفة به . . ستبقى رفاته في خيمتي هذه الليلة ، كما يجدر بالجندي ، موقرين له كل الترتيبات المناسبة لجنازة رجل نبيل . . ادعوا الجنود إذن إلى الراحة وإلى السلم من جديد . ~~وستنصرون~~ ^{وتنصرون} فيما بيننا أجماد هذا اليوم السعيد .

(يخرجون)

(١) يقصد قوله إنه « ما من عدو بوسعه أن يأسر بروتس النبيل حياً » (أنطونيوس الخامس : الفصل الرابع)